



العفو ومقاصده الدعوية

د. سعد بن أحمد الأحيدب

قسم الدعوة والاحتساب- كلية الدعوة والإعلام

جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية



العفو ومقاصده الدعوية

د. سعد بن أحمد الأحيدب
قسم الدعوة والاحتساب - كلية الدعوة والإعلام
جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

ملخص البحث:

تبرز أهمية دراسة العفو ومقاصده الدعوية بالنظر إلى أن الحاجة قائمة إلى استلهام روح نصوص الكتاب والسنة المتعلقة به، والافتداء بسيرة المصطفى ﷺ وسيرة السلف الصالح، وكونه أداة تواصل بين الدعاة والمدعويين.

وهذا البحث يهدف إلى توضيح مفهوم العفو، ومشروعيته، وثمراته على الفرد والمجتمع، ويبحث في الأسباب الباعثة على العفو، والموانع التي تحجبه، ويجلّي المقاصد الدعوية لممارسات العفو، والتي تشمل على ترغيب الكفار في الإسلام، وتأليف قلوب المؤمنين، وإنصاف الخدم والضعفاء، وإقالة عثرات ذوي الهيئات.

والدعاة إلى الله أولى الناس بخلق العفو علماً وتعليماً وتطبيقاً؛ بسبب الفتن والتعدّيات التي تطالهم في مسيرتهم الدعوية، فيحثّوا بهذا الخلق النبيل المواقف قبل تداعياتها، ويغلبوا جانب العفو والإحسان عن أساء إليهم، ويشيعوا روح التسامح والرحمة في المجتمع؛ وهذا له أثره في حبّ الناس لهم، والافتداء بهم، وقبول دعوتهم.

كلّ ذلك سيكون عليه مدار حديثنا في هذا البحث؛ لتقديم دراسة وافية وخالصة واضحة في مقاصد العفو من منظور دعوي.



المقدمة

الحمد لله الذي دعا عباده إلى العفو والإحسان، والصلاة والسلام على من كان خلقه القرآن، وعلى آله وصحبه ما اختلفت العصور، وتعاقبت الأزمان، أما بعد:

فإن محامد الأخلاق مما أطبقت الشرائع على طلبه واستحبابه، وجاءت الشريعة الغراء بتمام ذلك وكماله، قال النبي ﷺ: (إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق)^(١)؛ بل إن الرسول ﷺ ربط بين الإيمان والأخلاق، فقال: (أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً)^(٢).

ومن مكارم الأخلاق: خلق العفو، ذاك الخلق الرفيع، الذي به تزكو النفوس، وتتطهر القلوب، وتتنزع البغضاء من الصدور، ويقضى به على دواعي الخلاف، وينعم الجميع بالألفة والمحبة والوئام، ويعود ذلك بالنفع والثمر اليانع على الفرد والمجتمع، والأمة بأسرها.

ويكفي العفو منزلة، أنه من صفات الله عز وجل التي وصف بها نفسه، فهو سبحانه يعفو عن عباده، ويغفر لهم، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا غَفُورًا﴾^(٣)، وقد أمر نبيه محمداً ﷺ بالاتصاف بالعفو بقوله: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾^(٤).

كما حث عباده المؤمنين بالإعراض والصفح؛ حتى مع الذين خالفونا في ديننا، فقال: ﴿فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهَ بِأَمْرٍ﴾^(٥).

إن خلق العفو لا يتصف به إلا من سمت نفسه، وكرمت سجيته، وعلت همته، وكملت مراقبته لربه، وتخلص من ربة الغضب، وسورة الغيظ، وشهوة الانتقام، واحتسب الأجر عند الله تعالى.

وإن أولى الناس بالعفو، الدعاة إلى الله، فطريقهم محفوف بالصعاب، وربما تعرضوا للأذى أكثر من غيرهم، فهم مطالبون بالإحسان إلى من أساء إليهم، وعدم الانتصار

(١) أخرجه البيهقي بهذا اللفظ في السنن الكبرى، رقم الحديث (٢٠٥٧١)، ج ١٠ ص ١٩١، والبخاري بلفظ: (إنما بعثت لأتمم صالح الأخلاق) في الأدب المفرد، رقم الحديث (٢٧٢)، ج ١ ص ١٠٤، وصححه الألباني في صحيح الأدب المفرد، رقم الحديث (٢٠٧)، ص ١٢٢.

(٢) أخرجه أبو داود في كتاب: السنة، باب: الدليل على زيادة الإيمان، رقم الحديث (٤٦٨٤)، ج ٤ ص ٣٥٤، والترمذي في كتاب: الرضاع، باب: ما جاء في حق المرأة على زوجها، رقم الحديث (١١٦٢)، ج ٣ ص ٤٦٦، وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير وزياداته، رقم الحديث (١٢٣٠)، ج ١ ص ١٠٩.

(٣) سورة النساء، الآية: [٤٣].

(٤) سورة الأعراف، الآية: [١٩٩].

(٥) سورة البقرة، الآية: [١٠٩].

للفنفس، وتغليب جانب العفو في دعوتهم، وإشاعة روح التسامح والبرّ والرحمة والشفقة في المجتمع؛ لأن هذا يورث حبّ الناس لهم، والاقتداء بهم. وفي ضوء ما تقدم عزم الباحث على دراسة هذا الموضوع: (العفو ومقاصده الدعوية).

أسباب اختيار البحث:

- ١- عدم وجود دراسة متخصصة في العفو من الناحية الدعوية.
- ٢- إبراز التأسيس الشرعي للعفو، والعمل به لدى السلف الصالح.
- ٣- حاجة المجتمع إلى العفو؛ للتخلص من حظوظ النفس، وعدم الانتصار لها.
- ٤- علاقة العفو بالدعوة إلى الله؛ وكونه أداة تواصل بين الدعاة والمدعويين.

أهداف البحث:

- ١- معرفة مفهوم العفو، ومشروعيته، وثمراته.
- ٢- دراسة أسباب العفو، وموانعه.
- ٣- بيان المقاصد الدعوية لممارسات العفو.

تساؤلات البحث:

- ١- ما مفهوم العفو؟
- ٢- ما مشروعية العفو؟
- ٣- ما ثمرات العفو؟
- ٤- ما أبرز أسباب العفو؟
- ٥- ما موانع العفو؟
- ٦- ما المقاصد الدعوية لممارسات العفو؟

منهج البحث:

تعتمد هذه الدراسة على المنهج الاستقرائي، وهو تتبع الجزئيات كلها، أو بعضها، للوصول إلى أحكام عامة يشملها جميعاً^(١).

وسيفيد الباحث من هذا المنهج؛ باستقراء نصوص العفو في الكتاب والسنة، للوصول إلى منهج شرعي دعوي، يعتمد فيه على تتبع الأسباب الباعثة على العفو، والموانع التي تحول دون تحقيقه، واستخلاص مقاصد العفو الدعوية.

تقسيمات البحث:

يتكون البحث من: مقدمة، وثلاثة مباحث، وخاتمة، وفق النحو التالي:

المقدمة: أهمية الموضوع وأسباب اختياره، وأهداف البحث وتساؤلاته، ومنهج البحث.

المبحث الأول: مفهوم العفو، ومشروعيته، وثمراته:

المطلب الأول: مفهوم العفو في اللغة والاصطلاح

المطلب الثاني: مشروعية العفو

المطلب الثالث: ثمرات العفو

المبحث الثاني: أسباب العفو، وموانعه:

المطلب الأول: الأسباب الباعثة على العفو

المطلب الثاني: موانع العفو

المبحث الثالث: المقاصد الدعوية لممارسات العفو:

المطلب الأول: ترغيب الكفار في الإسلام

المطلب الثاني: تأليف قلوب المؤمنين

المطلب الثالث: إنصاف الخدم والضعفاء

المطلب الرابع: إقالة عثرات ذوي الهيئات

الخاتمة: أهم نتائج البحث، وما يوصي به الباحث.

والله أسأل أن ينفع بهذا البحث المسلمين في كل مكان، فهو خير مسؤول، سائلاً
الله التوفيق والسداد، والله الموفق والهادي إلى سواء السبيل.

(١) انظر: ضوابط المعرفة وأصول الاستدلال والمناظرة - د. عبدالرحمن حبنكة الميداني، دار القلم، دمشق، ط ٤، ١٤١٤هـ، ص ١٨٨، البحث العلمي حقيقته ومصادره - د. عبدالعزيز بن عبدالرحمن الربيع، بدون دار طباعة، ط ١، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٤م، ص ١٧٨.



المبحث الأول

مفهوم العفو، ومشروعيته، وثمراته

المطلب الأول: مفهوم العفو في اللغة، والاصطلاح:

المعنى اللغوي للعفو:

العفو: مصدر من عفا يعفو عفواً، فهو عاف، وعَفُوٌّ، والعفو أصله المحو، والطمس^(١). قال تعالى: ﴿ثُمَّ عَفَوْنَا عَنْكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾^(٢). أي محونا ذنوبكم^(٣). ومنه قوله ﷺ: (سَلُّوا اللَّهَ الْعَفْوَ وَالْعَافِيَةَ)^(٤). أي محو الذنوب^(٥). ومنه قولهم: عفت الرياح الآثار: إذا درستها ومحتها^(٦). ومنه: عفوت عن الحق: أسقطته، كأنك محوته عن الذي هو عليه. وعافاه الله: محا عنه الأسقام^(٧). والعفو: التجاوز عن الذنب، وترك العقاب عليه^(٨). وعفا عن ذنبه عفواً أي صفح^(٩). ومنه العفو في المال، كما في قوله تعالى: ﴿وَسْتَغْلُوكَ مَاذَا يَنْفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ﴾^(١٠). أي الفاضل من المال^(١١). والعفو: الكثير العفو^(١٢). فمادة العفو تدور حول المحو، والطمس، والقصد، والترك، والصفح، والفضل.

(١) انظر: لسان العرب - ابن منظور، تحقيق: عبد الله علي الكبير وآخرين، دار المعارف، القاهرة، ج ١٥ ص ٧٢.

(٢) سورة البقرة، الآية: [٥٢].

(٣) انظر: الجامع لأحكام القرآن - محمد بن أحمد القرطبي، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية، القاهرة، ط ٢، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م، ج ١ ص ٣٩٧.

(٤) أخرجه أحمد في المسند، رقم الحديث (٦)، ج ١ ص ١٨٥، وقال الألباني في صحيح الترغيب والترهيب، رقم الحديث (٢٣٨٧)، ج ١ ص ١٦٩: حسن صحيح.

(٥) انظر: تاج العروس من جواهر القاموس - محمد مرتضى الزبيدي، تحقيق: مجموعة من المحققين، دار الهداية، بيروت، ج ٣٩ ص ٦٨.

(٦) انظر: تهذيب اللغة - محمد بن أحمد الأزهرى، تحقيق: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط ١، ٢٠٠١م، ج ٣ ص ١٤١.

(٧) انظر: المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي - أحمد الفيومي، المكتبة العلمية، بيروت، ج ٢ ص ٤١٩.

(٨) انظر: لسان العرب - ابن منظور، ج ١٥ ص ٧٢.

(٩) انظر: معجم مقاييس اللغة - أحمد بن فارس بن زكريا، تحقيق: عبد السلام هارون، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، ١٣٦٨هـ، ج ٤ ص ٥٦.

(١٠) سورة البقرة، الآية: [٢١٩].

(١١) انظر: المعجم الوسيط - إبراهيم مصطفى وآخرون، تحقيق: مجمع اللغة العربية بمصر، دار الدعوة، إستانبول، ج ٢ ص ٦١٢.

(١٢) انظر: مختار الصحاح - محمد بن أبي بكر الرازي، تحقيق: محمود خاطر، مكتبة لبنان، بيروت، ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م، ج ١ ص ١٨٦.

والزيادة، والكثرة، وكلها مكونات أساسية للمعنى الاصطلاحي للعفو بشكل عام^(١).

المعنى الاصطلاحي للعفو:

جاءت تعريفات العلماء للعفو متقاربة، أشهرها ما يلي:

قال أبو الحسن العبدى: العفو من الله عز وجل عن العباد تجاوزه عن ذنوبهم، ومن العباد ستر بعضهم على بعض^(٢).

قال محمد الكلاباذي: هو التجاوز عن المسيء إليك^(٣).

وقال السلمي: هو الستر على ما مضى، وترك التأنيب فيما بقي^(٤).

وقال محمد الكلبي: هو ترك المؤاخظة بالذنب^(٥).

وقال ابن القيم: هو إسقاط حقك جوداً وكرماً وإحساناً، مع قدرتك على الانتقام.

فتؤثر الترك؛ رغبة في الإحسان، ومكارم الأخلاق^(٦).

وقال الكفوي: هو كل من استحق عقوبة فتركها، فقد عفوته^(٧).

وقال السعدي: هو ترك المؤاخظة مع السماح عن المسيء^(٨).

وقال عبد الرحمن الميداني: هو الصفح عن المسيئين، وستر سيئاتهم، ومقابلتهم

(١) العفو والصفح متقاربان بالمعنى، وهناك من فرق بينهما، واستشهدوا بقوله تعالى: ﴿فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ﴾. قال القرطبي: (والعفو: ترك المؤاخظة بالذنب، والصفح: إزالة أثره من النفس). انظر: الجامع لأحكام القرآن - القرطبي، ج ٢ ص ٧١. وقال المناوي: (فالعفو: ترك المؤاخظة بالذنب، والصفح: ترك التثريب). انظر: فيض القدير شرح الجامع الصغير - عبد الرؤوف المناوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٤١٥ هـ، ج ٢ ص ٢٤٠. وقال محمد بن عثيمين: (فالعفو: ترك المؤاخظة على الذنب، والصفح: الإعراض عن هذا بالكلية، وكأنه لم يكن، فعلى هذا يكون بينهما فرق، فالصفح أكمل إذا اقترن بالعفو). انظر: موقع الشيخ محمد بن صالح العثيمين على الشبكة العنكبوتية (المكتبة المقروءة) تفسير سورة البقرة.

(٢) انظر: كتاب العفو والاعتذار - أبو الحسن محمد بن عمران العبدى، حققه وقدم له د. عبد القدوس أبو صالح، دار البشر، عمان، ط ٢، ١٤١٣ هـ - ١٩٩٢ م، ج ١ ص ٢٧.

(٣) انظر: بحر الفوائد المشهور بمعاني الأخبار - أبو بكر محمد بن أبي إسحاق إبراهيم بن يعقوب الكلاباذي، تحقيق: محمد حسن إسماعيل وأحمد فريد المزدي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م، ج ١ ص ١٩٣.

(٤) انظر: حقائق التفسير - أبو عبد الرحمن محمد بن الحسين الأزدي السلمي، تحقيق: سيد عمران، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م، ج ٢ ص ٤٣.

(٥) انظر: التسهيل لعلوم التنزيل - محمد بن أحمد بن محمد الغرناطي الكلبي، دار الكتاب العربي، ط ٤، لبنان، ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م، ج ١ ص ٩٩.

(٦) انظر: الروح في الكلام على أرواح الأموات والأحياء بالدلائل من الكتاب والسنة - أبو عبد الله شمس الدين محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٣٩٥ هـ - ١٩٧٥ م، ج ١ ص ٢٤١.

(٧) انظر: الكليات - أيوب الكفوي، تحقيق: عدنان درويش ومحمد المصري، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م، ج ١ ص ٥٩٨.

(٨) انظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان - عبد الرحمن بن ناصر السعدي، تحقيق: عبد الرحمن اللويحي، مؤسسة الرسالة، ط ١، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م، ج ١ ص ١٤٨.

بالمغفرة^(١).

وسيفيد الباحث من هذه التعريفات، فيما له صلة بالمجال الدعوي، فيكون المراد من العفو: ما يقوم به الدعاة من تواصل مع الآخرين عن طريق العفو والصفح، وفق منهج شرعي دعوي واضح، يعطيهم -بعد الله- ضماناً في بلوغ مقاصدهم الدعوية. فالعلاقة بين العفو والدعوة إلى الله ظاهرة، ولا يمكن لأحد تجاهلها، والناظر في تاريخ الدعوة والدعاة يدرك بأن طريق الدعوة لا يسلم من العقبات، وبخاصة ما يكون من جانب المدعويين من سوء خلق وجفاء وتعدُّ على أهل الدعوة، وكيف أن العفو والصفح هو العلاج الأمثل في مواجهتها.

والدعاة إلى الله في وقتنا الحاضر سائرون في هذا السبيل، من حيث الاهتمام بخلق العفو علماً وتعليماً وتطبيقاً؛ ولهم دواعيهم التي تمكنهم بإذن الله من تسيير الموقف لصالحهم من خلال عفوهم، وإحسانهم عن أساء إليهم؛ حسبة لله تعالى، وعليهم الاهتمام بخلق العفو، وبذلك يسهمون في بناء علاقات أخوية إنسانية في واقعهم؛ وينجحون في تأليف واستمالة القلوب إليهم، وقبول دعوتهم.

المطلب الثاني: مشروعية العفو:

دعت الشريعة الإسلامية إلى العفو، ورغبت فيه، وبينت فضيلته، ومدحت أهله، وجعلته من الفضائل، لما له من آثار عظيمة على الفرد والمجتمع. والعفو يدخل في دائرة الندب، والاستحباب، وقد بَوَّبَ مسلم في صحيحه: باب استحباب العفو والتواضع^(٢). قال القرطبي: (وبالجملة العفو مندوب إليه)^(٣). وقال الجصاص: (وكظم الغيظ، والعفو مندوب إليهما)^(٤). وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: (والعفو مندوب).

(١) انظر: الأخلاق الإسلامية وأسسها - عبدالرحمن حسن حبنكة الميداني، دار القلم، دمشق، ط ٣، ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م، ج ٢ ص ٧٣.

(٢) انظر: صحيح مسلم - مسلم بن الحجاج النيسابوري، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ج ٤ ص ٢٠٠.

(٣) الجامع لأحكام القرآن - القرطبي، ج ١٦ ص ٤٤.

(٤) أحكام القرآن - أبو بكر أحمد بن علي الرازي الجصاص، تحقيق: محمد الصادق قمحاوي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤٠٥هـ، ج ٢ ص ٣٢٥.

وجاءت النصوص الشرعية، تؤكد مكانة العفو، والأجر المترتب عليه من الله تعالى.

أولاً: نصوص القرآن الكريم:

- قال تعالى: ﴿ خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴾ (١).
- وقال تعالى: ﴿ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾ (٢).
- وقال تعالى: ﴿ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ ﴾ (٣).
- وقال تعالى: ﴿ فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ ﴾ (٤).
- وقال تعالى: ﴿ وَإِنْ تَعَفُّوا وَتَصْفَحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ (٥).
- وقال تعالى: ﴿ وَالْكَاطِمِينَ الْغَيْظِ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾ (٦).
- وقال تعالى: ﴿ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ ﴾ (٧).
- وقال تعالى: ﴿ فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ ﴾ (٨).

ثانياً: نصوص السنة النبوية:

- عن أبي هريرة ؓ عن رسول الله ﷺ قال: (ما نقصت صدقة من مال، وما زاد الله عبداً بعفو إلا عزاً، وما تواضع أحد لله إلا رفعه الله) (٩).
- وعن أبي عبد الله الجدلي رحمه الله، قال: قلت لعائشة: كيف كان خلق رسول الله ﷺ في أهله؟ قالت: كان أحسن الناس خلقاً، لم يكن فاحشاً، ولا متفحشاً، ولا سخاباً (١٠).
- في الأسواق، ولا يجزي بالسيئة السيئة، ولكن يعفو ويصفح) (١١).

(١) سورة الأعراف، الآية: [١٩٩].

(٢) سورة المائدة، الآية: [١٣].

(٣) سورة آل عمران، الآية: [١٥٩].

(٤) سورة البقرة، الآية: [١٠٩].

(٥) سورة التغابن، الآية: [١٤].

(٦) سورة آل عمران، الآية: [١٣٤].

(٧) سورة النور، الآية: [٢٢].

(٨) سورة الشورى، الآية: [٤٠].

(٩) أخرجه مسلم في كتاب: البرّ والصلة والآداب، باب: استحباب العفو والتواضع، رقم الحديث (٢٥٨٨)، ج ٤ ص ٢٠٠١.

(١٠) سخاباً: أي صياحاً. انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر - أبو السعادات المبارك بن محمد الجزري، المكتبة العلمية، بيروت، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي ومحمود محمد الطناحي، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م، ج ١ ص ١٠٣.

(١١) أخرجه أحمد في المسند، رقم الحديث (٢٦٠٣٢)، ج ٤٣ ص ١٣١، وابن حبان في صحيحه، وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير، رقم الحديث (٤٦٣٢)، ج ٣ ص ١٥٢.

وعن أبي بن كعب رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: (من سرّه أن يشرف له البنيان، وترفع له الدرجات، فليعف عمن ظلمه، وليعط من حرمه، ويصل من قطعه)^(١).
وعن عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: (ثلاث، والذي نفس محمد بيده، إن كنت لحالفاً عليهنّ -وذكر منها- ولا يعفو عبد عن مظلمة، ويتغى بها وجه الله عز وجلّ إلا زاده الله بها عزاً يوم القيامة)^(٢).

المطلب الثالث: ثمرات العفو:

لا ريب أن العفو عن الناس من الطاعات التي يتقرب بها العبد إلى الله تعالى، وإذا نظر الداعية في ثمرات العفو، والمكاسب العظيمة التي تعود عليه في دينه ودنياه، دفعه ذلك إلى تعاطي هذا الخلق النبيل، رغبة في تحصيلها، وحرصاً عليها، ناهيك عن تأثير هذا الخلق العظيم على المدعويين. وكلما كان نفع العمل متعدياً، كان أعظم أجراً، وبخاصة إذا كان في الدعوة إلى الله وهداية الآخرين.
ومن أبرز ثمرات العفو مايلي:

١) العفو يورث محبة الله عز وجلّ:

فإن احتمال الداعية للناس، والعفو عنهم، والإحسان إليهم، يعقبه القوة في ذات الله، ومحبة المولى عز وجلّ له، فالله يحبّ عباده المحسنين.
قال تعالى: ﴿وَالْكَافِرِينَ الْغِيَظُ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾^(٣).
قال ابن كثير: (مع كفّ الشرّ يعفون عمن ظلمهم في أنفسهم، فلا يبقى في أنفسهم موجدة على أحد، وهذا أكمل الأحوال، ولهذا قال: والله يحب المحسنين، فهذا من مقامات الإحسان)^(٤).

وقال الرازي: (فإن محبة الله للعبد أعم درجات الثواب)^(٥).

-
- (١) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير، رقم الحديث (٥٣٤)، ج ١ ص ١٩٩، والحاكم في المستدرک على الصحيحين، رقم الحديث (٣١١)، ج ٢ ص ٢٩٥، وقال: صحيح الإسناد.
 - (٢) أخرجه أحمد في المسند، رقم الحديث (١٦٧٤)، ج ٢ ص ٢٠٨، وحسنه لغيره محققو المسند.
 - (٣) سورة آل عمران، الآية: [١٣٤].
 - (٤) تفسير القرآن العظيم - أبو الفداء إسماعيل بن كثير، تحقيق: محمود حسن، دار الفكر، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م، ج ١ ص ٤٠٧.
 - (٥) التفسير الكبير - فخر الدين محمد الرازي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م، ج ٩ ص ٨.

٢) العفو يورث صاحبه التقوى:

فإن العفو درجة عالية من درجات التقوى، لما فيه من سمو النفس، وصفائها، وشرفها، وكمالها، بإحسانها للآخرين، فيشعر الداعية بعد العفو بلذة وطمأنينة، وراحة بال، وهذه المنزلة لا ينالها إلا عباد الله المخلصون الذين آثروا أخراهم على دنياهم.

قال تعالى: ﴿وَأَنْ تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى﴾^(١).

قال البغوي: (والخطاب للرجال والنساء جميعاً... معناه: وعفو بعضكم عن بعض أقرب للتقوى)^(٢).

وقال الفضيل بن عياض: (إذا أتاك رجل يشكو إليك رجلاً، فقل: يا أخي اعف عنه؛ فإن العفو أقرب للتقوى)^(٣).

٣) العفو يوجب لصاحبه الأجر:

فإن الأجر الذي أعدّه الله تعالى للعافين عن الناس كبير؛ فالداعية يتعامل مع من له ميراث السماوات والأرض، وهو أكرم من أعطى، وأجود من بذل، فينال بذلك الأجر والثواب من الله تعالى^(٤).

قال تعالى: ﴿فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ﴾^(٥).

قال السمعاني في تفسيره: (يعني عفا عن الظالم، وأصلح الأمر بينه وبينه، فأجره على الله، أي ثوابه على الله. وفي بعض الأخبار، أن الله تعالى يقول يوم القيامة: ألا ليقيم من أجره على الله، فلا يقوم إلا من عفا)^(٦).

وقال تعالى: ﴿وَأَنْ تَعْفُوا وَتَصْفَحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾^(٧).

قال عبد الرحمن السعدي: (لأن الجزاء من جنس العمل، فمن عفا الله عنه، ومن

(١) سورة البقرة، الآية: [٢٣٧].

(٢) تفسير البغوي - الحسين البغوي، دار طيبة، الرياض، ط ٤، ١٧٤١هـ - ١٩٩٧م، ج ١ ص ٢١٩، ٢٢٠.

(٣) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء - أبو نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني، دار الكتاب العربي، بيروت، ط ٤، ١٤٠٥هـ، ج ٨ ص ١١٢.

(٤) انظر: لماذا تعفو - أبو حمزة عبد اللطيف الغامدي، مدار الوطن، الرياض، ط ١، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م، ص ٣٤.

(٥) سورة الشورى، الآية: [٤٠].

(٦) تفسير السمعاني - أبو المظفر السمعاني، دار الوطن، الرياض، ١٧٤١هـ - ١٩٩٧م، ج ٥ ص ٨٣.

(٧) سورة التغابن، الآية: [١٤].

صفح صفح عنه^(١).

وحث النبي ﷺ أمته على الرحمة وغفران الزلات، وابتغاء الأجر والمغفرة من الله تعالى، فقال: (ارحموا ترحموا، واغفروا يغفر لكم)^(٢).

قال الشاعر:

فإذا كنت تبغي بالعقاب تشفياً فلا تزهدن عند التجاوز في الأجر^(٣)
والداعية إلى الله ينبغي أن يدرك أنه بحاجة إلى عفو الله تعالى، فيلزم نفسه بالتغاضي عن إساءة الآخرين، ويتجاوزها إلى العفو والصفح، وإسقاط حقه جوداً وإحساناً، وعفو الله وجوده وإحسانه أعظم وأوسع.

٤) العفو يورث صاحبه العز:

فإن العفو سمو ورفعة للعافي في الدنيا والآخرة، فلا يلتفت العافي لمن يزعم بجهله أن العفو ضعف وخور، والسماحة نقص في الرجولة، فذلك من مرضى القلوب، ذوي الرواسب الجاهلية، الذين أعماهم الحقد، وأرداهم حب الانتقام، وأهلكهم الكبر والاستعلاء، فكانوا من الخاسرين^(٤).

وقد مر معنا قوله ﷺ: (... وما زاد الله عبداً بعفو إلا عزاً)^(٥).

سئل أبو الدرداء عن أعز الناس، قال: الذي يعفو إذا قدر، فاعفوا يعزكم الله^(٦).
وقال رجل لجعفر بن محمد: إنه قد وقع بيني وبين قوم منازعة في أمر، وإني أريد أن أتركه، فأخشى أن يقال لي: إن تركك له ذل. فقال جعفر: إنما الذليل الظالم^(٧).
وقال النووي: (من عُرِفَ بالعفو والصفح، ساد وعظم في القلوب، وزاد عزه وإكرامه)^(٨).

- (١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان - عبد الرحمن بن ناصر السعدي، ص ٨٦٨.
- (٢) أخرجه أحمد في المسند، رقم الحديث (٦٥٤١)، ج ٢ ص ١٦٥، والبخاري في الأدب المفرد، رقم الحديث (٣٨٠) ج ١ ص ١٣٨، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب، رقم الحديث (٢٢٥٧)، ج ١ ص ٢٦٧.
- (٣) المستطرف في كل فن مستظرف - أبو الفتح شهاب الدين محمد بن أحمد الأبهسي، تحقيق: مفيد محمد قميحة، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ٢، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م، ج ١ ص ٤٠٧.
- (٤) انظر: لماذا تعفو - أبو حمزة عبد اللطيف الغامدي، ص ١٤.
- (٥) تقدم تخريجه.
- (٦) إحياء علوم الدين - أبو حامد الغزالي، دار المعرفة، بيروت، ج ٣ ص ١٨٢.
- (٧) المرجع السابق، ج ٣ ص ١٧٩، ١٧٨.
- (٨) شرح النووي على صحيح مسلم - أبو زكريا يحيى بن شرف بن مري النووي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط ٢، ١٣٩٢هـ، ج ١٦ ص ١٤١.

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: (ما انتقم أحد قط لنفسه إلا أورثه ذلك ذلاً يجده في نفسه، فإذا عفا أعزه الله تعالى)^(١).

وقال عبدالرحمن السعدي: (وأما العفو عن جنایات المسيئين بأقوالهم وأفعالهم، فلا يتوهم منه الذل، بل هذا عين العز، فإن العز هو الرفعة عند الله، وعند خلقه، مع القدرة على قهر الخصوم والأعداء)^(٢).

وهكذا فالداعية بعفوه عن الناس، يعيش بينهم عزيزاً مهيباً كريماً سمحاً، أسراً القلوب، كاسباً رضا الناس ومودتهم، ويعزه الله عز وجل في الدارين، مع ما يَدِّخِرُهُ الله له من الأجر العظيم في دار كرامته.

* * *

(١) قاعدة في الصبر - شيخ الإسلام ابن تيمية، دار القلم، بدون تاريخ، ص ٦.
(٢) بهجة قلوب الأبرار وقرّة عيون الأخيار في شرح جوامع الأخبار - عبدالرحمن بن ناصر السعدي، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، المملكة العربية السعودية، ط ٤، ١٤٢٣هـ، ص ٨٩.

المبحث الثاني

أسباب العفو، وموانعه

المطلب الأول: الأسباب الباعثة على العفو:

تتنوع أسباب العفو بتنوع الناس، وصفاتهم، وأخلاقهم، ومدى قدرتهم على تحمل مرارة العفو مع صعوبته، وتفضيلهم جانب العفو والتسامح على ما تهوى نفوسهم من إنزال العقوبة، والتشفي، والانتقام.

ومن أبرز الأسباب الباعثة على العفو ما يلي:

(١) التأمل في نعمة البلاء:

إن العاقل من يحول البلاء إلى نعمة، ومن ذلك إيمانه الكامل بأن ظلم الآخرين له سبب في تكفير ذنوبه، ورفع درجته عند الله، فيقابل الإساءة بالغفران، فحينئذ يفرح بما منَّ الله عليه من نعمة البلاء.

وقد فصل ابن القيم في نعمة البلاء التي تصيب المؤمن، فقال: (أن يشهد نعمة الله عليه، في أن جعله مظلوماً يترقب النصر، ولم يجعله ظالماً يترقب المقت والأخذ، فلو خيّر العاقل بين الحالتين - ولا بد من إحداهما - لاختار أن يكون مظلوماً... وإن العبد ليشتد فرحه يوم القيامة بما له قبل الناس من الحقوق في المال، والنفوس، والعرض، فالعاقل يعدُّ هذا ذخراً ليوم الفقر والفاقة، ولا يبطله بالانتقام الذي لا يجدي عليه شيئاً^(١)).

ولذلك لما دخل رجل على عمر بن عبد العزيز، وجعل يشكو إليه رجلاً ظلمه، ويقع فيه، قال له عمر: إنك إن تلقى الله ومظلمتك كما هي، خير لك من أن تلقاه وقد اقتصصتها^(٢).

وقال محمد بن مسلم الطائفي: (إذا أراد الله أن يتحف عبداً، قيص له من يظلمه)^(٣).

وقال إبراهيم التيمي: (إن الرجل ليظلمني، فأرحمه)^(٤).

-
- (١) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين - محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية، تحقيق: محمد حامد الفقي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط ٢، ١٣٩٣هـ - ١٩٧٣م، ج ٢ ص ٣٢٢، ٣٢٣.
 - (٢) إحياء علوم الدين - أبو حامد الغزالي، ج ٣ ص ١٨٣.
 - (٣) أخرجه ابن أبي الدنيا في الإشراف في منازل الأشراف، تحقيق: نجم عبد الرحمن خلف، مكتبة الرشيد، الرياض، ط ١، ١٤١١هـ - ١٩٩٠م، ج ١ ص ١٤٤.
 - (٤) سير أعلام النبلاء - أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط ومحمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ٩، ١٤١٣هـ، ج ٥ ص ٦١.

وأنشد محمود الوراق:

إنني شكرت لظالمي ظلمي وغفرت ذاك له على علمي
ورأيت أنه أسدى إليّ يداً لما أبان بجهله حلمي^(١)

وجمال العفو هنا يتمثل في تطويع هذا البلاء في مرضاة الله، والشعور بالرضا والتسليم بما أصابه من العباد، ويذكر فضل الله تعالى عليه؛ بأن خصّه بنعمة البلاء دون غيره؛ ليكون من أهل العفو والإحسان.

٢) محاسبة النفس ولومها:

إن النفس المؤمنة تستشعر في داخلها عظمة الخالق سبحانه وتعالى، وتلوم حالها على التقصير، وتخشى هوانها على ربها، وتدرك أن ما أصابها من أذى العباد، بسبب الذنوب والمعاصي.

قال تعالى: ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِّنْ مُّصِيبَةٍ فِيمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ﴾^(٢). يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: (فإذا شهد العبد أن جميع ما يناله من المكروه، فسببه ذنوبه، اشتغل بالتوبة والاستغفار من الذنوب... وإذا رأيت العبد يقع في الناس إذا آذوه، ولا يرجع إلى نفسه باللوم والاستغفار، فاعلم أن مصيبته مصيبة حقيقية، وإذا تاب واستغفر، وقال: هذا بذنوبي، صارت في حقه نعمة)^(٣).

وقال تعالى: ﴿وَمَنْ يُنِ اللّٰهُ فَمَا لَهُ مِن مُّكْرِمٍ﴾^(٤).

قال الحسن البصري: (هانوا عليه فعصوه، ولو عزّوا عليه لعصمهم، وإذا هان العبد على الله لم يكرمه أحد، وإن عظمهم الناس في الظاهر لحاجتهم إليهم، أو خوفاً من شرهم، فهم في قلوبهم أحقر شيء، وأهونه)^(٥).

يروى أن رجلاً طرق الباب على آخر، فسبه وشتمه، فقال صاحب الدار: انتظر قليلاً.

(١) الكامل في اللغة والأدب - أبو العباس محمد بن يزيد المبرد، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي، القاهرة، ط ٣، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م، ج ٢ ص ٤.

(٢) سورة الشورى، الآية: [٣٠].

(٣) قاعدة في الصبر - شيخ الإسلام ابن تيمية، ص ٥.

(٤) سورة الحج، الآية: [١٨].

(٥) الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي - محمد بن قيم الجوزية، دار الكتب العلمية، بيروت، ج ١ ص ٣٨.

فدخل بيته، وصلى ركعتين، وذكر الله، ثم رجع إليه؛ فقال: أين كنت؟ قال: ذكرت الله، وصليت ركعتين، لعلك سلّمت علي بذنّب فعلته^(١).

فكم من المرات يتكاسل أحدنا عن الواجبات، ويقترب المحرمات، وهو سبحانه وتعالى يعفو ويصفح عنا، فليكن ذلك معيناً لأن نكون من أهل الصفح والعفو عن الآخرين^(٢).

والداعية الحنيف أحوج ما يكون إلى تلك المحاسبة واللوم، فإذا ما وجد غيره قد آذاه، وعصى الله فيه، فيدعوه ذلك إلى العفو، والصفح الجميل، وعدم الانتصار للنفس، لأنه يرى أن تسليط هؤلاء، ما هو إلا رسالة تمحيص من الله تعالى لإصلاح النفس، وتزكيتها، وتهذيبها.

٣ إدراك فضيلة الصبر:

عرف ابن قيم الجوزية الصبر بقوله: (حبس النفس عن الجزع، والتسخط، وحبس اللسان عن الشكوى، وحبس الجوارح عن التشويش)^(٣).

وقد قرن الله تعالى في كتابه بين الصبر والعفو، فقال: ﴿وَلَمَن صَبَرَ وَعَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾^(٤). فالجمع بين الصبر والعفو والمغفرة من أفضل الأحوال وأكملها.

وكان من عظمتهم ﷺ شدة صبره على الابتلاء في تبليغ الرسالة، وكان يقول: (رحمة الله على موسى، لقد أودى بأكثر من هذا فصبر)^(٥)، فتحمل ﷺ في سبيل الدعوة ما تنوء عن حمله الجبال، فقد سخر منه قومه، وعادوه، وتآمروا عليه، وأخرجوه من بلده وحيداً طريداً، وحاولوا قتله، وحاربوه، فكسروا رباعيته، وشجوا رأسه، وأدموا وجهه، ومع ذلك عفا عنهم رسول الله ﷺ واستغفر لهم، وكان يقول: (اللهم اغفر لقومي؛ فإنهم لا يعلمون)^(٦). فجمع في هذا أربعة أمور: عفوهم، واستغفاره لهم، واعتذاره عنهم

(١) انظر: دروس الشيخ أسامة سليمان، الدرس السابع، وهي دروس مفرغة على الشبكة العنكبوتية.

(٢) انظر: وليعفو وليصفحوا - خالد بن إبراهيم الجعيثي، دار ابن الجوزي، الدمام، ١٤٢٥هـ، ص ٣٨.

(٣) مدارج السالكين - ابن قيم الجوزية، ج ٢ ص ١٥٦.

(٤) سورة الشورى، الآية: [٤٣].

(٥) أخرجه البخاري في كتاب: المغازي، باب: غزوة الطائف، رقم الحديث (٤٣٣٥)، ج ٥ ص ١٥٩.

(٦) أخرجه البخاري في كتاب: أحاديث الأنبياء، باب: ٥٤، رقم الحديث (٣٤٧٧)، ج ٤ ص ١٧٥، ومسلم في

كتاب الجهاد والسير، باب: غزوة أحد، رقم الحديث (١٧٩٢)، ج ٣ ص ١٤١٧.

بأنهم لا يعلمون، واستعطفاه لهم بإضافتهم إليه^(١).

يقول ابن القيم: (ويشهد وجوبه - أي الصبر - وحسن عاقبته، وجزاء أهله، وما يترتب عليه من الغبطة والسرور، ويخلصه من ندامة المقابلة والانتقام، فما انتقم أحد لنفسه قط، إلا أعقبه ذلك ندامة)^(٢).

ويؤكد عبدالعزيز بن باز على أهمية تخلق الداعية بالصبر على المدعو بقوله: (فعليك أن تصبر عليه، وتحتسب، وتجادله بالتي هي أحسن، وتصفح عما يتعلق بشخصك من بعض الأذى، كما صبر الرسل، وأتباعهم بإحسان)^(٣).

والداعية ما دام سائراً في طريق الدعوة إلى الله، فلا بدّ له من أن يتعرض للأذى والمحن من الآخرين بالقول أو الفعل؛ فتكون المعالجة بالصبر عليهم، واحتمال قسوتهم. وهذا من أعظم الأسباب التي تدفعه إلى العفو عن زلاتهم، وتجاوز هناتهم.

٤ إدراك فضيلة الحلم وكظم الغيظ:

عرف أبو حامد الغزالي الحلم بقوله: (هو دلالة كمال العقل واستيلائه، وانكسار قوة الغضب، وخضوعها للعقل)^(٤).

فالحلم في مواطن الغضب سيادة على النفس، وضبط لجماحها، وتهذيب لها، ودلالة على الرشd، واكتمال العقل، وهذا يحتاج إلى دربة ومران لكل المواقف والظروف^(٥).

وقد قرن الله بين كظم الغيظ والعفو في كتابه، فقال: ﴿وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾^(٦)، وأثنى على عباده الحلماء في مواضع عديدة، قال تعالى: ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾^(٧). يقول ابن كثير: (أي إذا سفه عليهم الجاهل بالقول السيئ، لم يقابلوهم

(١) انظر: بدائع الفوائد - محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية، تحقيق: هشام عبد العزيز عطا وعادل عبد الحميد العدوي، مكتبة نزار مصطفى الباز، مكة المكرمة، ط ١، ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م، ج ٢ ص ٦٨.

(٢) مدارج السالكين - ابن قيم الجوزية، ج ٢ ص ٣١٩.

(٣) الدعوة إلى الله وأخلاق الدعاة - عبدالعزيز بن عبد الله بن باز، مؤسسة الشيخ عبدالعزيز بن باز الخيرية، ص ٥٧.

(٤) إحياء علوم الدين - أبو حامد الغزالي، ج ٣ ص ١٧٦.

(٥) انظر: دعوة الإسلام - السيد سابق، دار الكتاب العربي، بيروت، ص ١٥٣، ١٥٢.

(٦) سورة آل عمران، الآية: [١٣٤].

(٧) سورة الفرقان، الآية: [٦٣].

عليه بمثل؛ بل يعفون، ويصفحون، ولا يقولون إلا خيراً^(١).

وحين نلقي نظرة على خلق النبي ﷺ في مقام الحلم، نجد أنه بلغ بالإحسان القمة التي تناسب خلقه العظيم، وحلمه ﷺ أوسع من أن يحاط بجوانبه، ولولا هذا الحلم -بعد توفيق الله تعالى له- ما استطاع أن يسوس شعباً كالعرب، يأنف أن يطيع، أو أن ينصاع. قال تعالى: ﴿فِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًا غَلِظَ الْقَلْبُ لَأَفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾^(٢) (٣).

تقول عائشة رضي الله عنها: (ما انتقم رسول الله ﷺ لنفسه في شيء يؤتى إليه، حتى ينتهك من حرمة الله، فينتقم لله)^(٤).

فما أكثر ما عرض له ﷺ في حياته من حوادث الإساءة إليه، فلم يتخل عن خلقه الكريم في العفو، إلا أن تنتهك محارم الله، فهو حينئذ ينتقم لله، وليس لنفسه^(٥). وعن سهل بن معاذ الجهني ؓ عن أبيه أن النبي ﷺ قال: (من كظم غيظاً وهو قادر على أن ينفضه، دعاه الله على رؤوس الخلائق يوم القيامة، حتى يخيره من أي الحور شاء)^(٦).

وهذا عمر بن الخطاب ؓ كاد أن يهمل بعينة بن حصن، الذي تناول عليه في مجلسه، لكنه غلب جانب الحلم والصفح، حين ذكره الحر بن قيس بقوله تعالى: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾^(٧). فوالله ما جاوزها عمر حين تلاها عليه، وكان وقافاً عند كتاب الله^(٨).

(١) تفسير القرآن العظيم - ابن كثير، ج ٣ ص ٣٢٦، ٣٢٥.

(٢) سورة آل عمران، الآية: [١٥٩].

(٣) انظر: صفات الداعية - أ.د. حمد بن ناصر العمار، دار إسبيليا، الرياض، ط ١، ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م، ص ٥١.

(٤) أخرجه البخاري في كتاب: الحدود، باب: كم التعزير والأدب، رقم الحديث (٦٨٥٣)، ج ٨ ص ١٧٤.

(٥) انظر: مجلة الأزهري (الرفق بالجاني من خلق النبي ﷺ)، الجزء العاشر، السنة (٧٤)، شوال، ١٤٢٢هـ ص ٢٠٦، ٢٠٥.

(٦) أخرجه أبو داود في كتاب: الأدب، باب: من كظم غيظاً، رقم الحديث (٤٧٧٧)، ج ٤ ص ٢٤٨، والترمذي في كتاب: صفة القيامة والرقائق والورع، رقم الحديث (٢٤٩٣)، ج ٤ ص ٦٥٦، وابن ماجه في كتاب: الزهد، باب: الحلم، رقم الحديث (٤١٨٦)، ج ٢ ص ١٤٠٠، وحسنه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب، رقم الحديث (٢٧٥٣)، ج ١ ص ٢٤.

(٧) سورة الأعراف، الآية: [١٩٩].

(٨) أخرجه البخاري في كتاب: التفسير، باب: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾، رقم الحديث (٤٣٦٦)، ج ٦ ص ٦٠.

وسبَّ رجل ابن عباس رضي الله عنهما، فلما فرغ، قال: يا عكرمة، هل للرجل حاجة فنقضها؟ فنكس الرجل رأسه، واستحي^(١).

ولذا فإن سير الدعاة على منهاج النبوة، وتخلقهم بالحلم والأناة، خير باعث لتقديم العفو والصفح على الانتصار للنفس وغضبتهَا، وهذا له أثره في مدّ جسور التواصل مع المعُفى عنهم، وكسب مودتهم، واستجابتهم للدعوة.

(٥) علو الهمة وكبر النفس:

فإن المرء كلما كانت نفسه كبيرة، وهيمته عالية، فإنه يسمو ويتعالى عن الضغائن والأحقاد، ويترفع عن الإضرار بغيره، ولا يصل لتلك المنزلة عند الله إلا الموفقون من عباده.

وأخبار السلف في العفو، وبلوغ المعالي ظاهر في أقوالهم وأفعالهم، ومن ذلك: قال علي بن أبي طالب عليه السلام: (إذا قدرت على عدوك، فاجعل العفو عنه شكراً للقدرة عليه)^(٢).

وقال معاوية بن أبي سفيان عليه السلام: (إن أولى الناس بالعفو، أقدرهم على العقوبة)^(٣). وأسمع رجل عمر بن عبد العزيز ما يكره، فقال له: لا عليك، إنما أردت أن يستفزني الشيطان بعزة السلطان، فأنال منك اليوم ما تناله مني غداً، انصرف إذا شئت^(٤).

كان علي بن الحسين خارجاً من المسجد، فسبّه رجل، فثار الناس إليه. فقال: مهلاً عن الرجل، ثم أقبل عليه، فقال: ما ستر الله عنك من أمرنا أكثر، ألك حاجة نعينك عليها؟ فاستحيا الرجل، ورجع لنفسه، فألقى إليه خميصة كانت عليه، وأمر له بألف درهم^(٥).

(١) إحياء علوم الدين - أبو حامد الغزالي، ج ٣ ص ١٧٨.

(٢) الآداب الشرعية والمنح المرعية - محمد بن مفلح المقدسي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وعمر القيام، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ٢، ١٧٤١هـ - ١٩٩٦م، ج ١ ص ٣٧٨.

(٣) المنهج المسلوك في سياسة الملوك - عبد الرحمن بن عبد الله الشيزري، تحقيق: علي عبد الله الموسى، مكتبة المنار، الزرقاء، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م، ج ١ ص ٣١٧.

(٤) العقد الفريد - أحمد بن محمد بن عبدربه الأندلسي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط ٢، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م، ج ٢ ص ١٢٧.

(٥) انظر: تهذيب الكمال في أسماء الرجال - أبو الحجاج يوسف بن الزكي عبد الرحمن المزي، تحقيق: د. بشار عواد معروف، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ١، ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م، ج ٢٠ ص ٣٩٧.

ونال منه رجل يوماً، فجعل يتغافل عنه، يريه أنه لم يسمعه، فقال له الرجل: إياك أعني. فقال له علي: وعنك أغضي^(١).

وقال أحمد بن حنبل: (كلّ من ذكرني، ففي حلّ إلا مبتدعاً، وقد جعلت أبا إسحاق - يعني الخليفة المعتصم - في حلّ، ورأيت الله يقول: ﴿وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (٢٣) (١٢) (٣).

وقال أيوب السخيتاني: (لا ينبل الرجل حتى يكون فيه خصلتان: العفة عما في أيدي الناس، والتجاوز عما يكون منهم)^(٤).

فليكن الدعاة كذلك، عالية هممهم، كبيرة أنفسهم، يتعاملون بالرحمة والشفقة، والمحبة لمن أساء إليهم، ويقابلون ذلك بالعفو والإحسان، وهذا من أعظم المؤثرات الدعوية في النفوس؛ ما يجعلها أكثر استعداداً لقبول الحق.

٦) تلمس الأعداء وقبولها:

إن الكريم يطلب المعاذير ويتلمسها، ويتغافل عن الهنات والعيوب، ولا يبحث فيها، وصاحب العفو لا يلجئ خصمه ابتداء إلى الاعتذار، بل يطلب هوله الأعداء. ومما ورد في تلمس الأعداء، وإحسان الظن بالغير، أن زوجة طلحة بن عبد الرحمن بن عوف - وكان أجود قريش في زمانه - قالت له: ما رأيت ألام من إخوانك. قال لها: مه! ولم ذاك؟ قالت: أراهم إذا أيسرتَ لزموك، وإن أعسرتَ تركوك. فقال لها: هذا والله من كرم أخلاقهم، يأتوننا في حال قدرتنا على إكرامهم، ويتركوننا في حال عجزنا عن القيام بحقهم^(٥).

فانظر كيف تلمس طلحة لإخوانه المعاذير، وحملهم محملاً حسناً، ولم يلجئهم إلى الاعتذار، بل أثنى عليهم خيراً، وهذا من مكارم الأخلاق.

(١) البداية والنهاية - أبو الفداء إسماعيل بن كثير الدمشقي، مكتبة المعارف، بيروت، ج ٩ ص ١٠٥.

(٢) سورة النور، الآية: [٢٢].

(٣) سير أعلام النبلاء - الذهبي، ج ١١ ص ٢٦١.

(٤) مكارم الأخلاق - أبو بكر عبد الله ابن أبي الدنيا القرشي البغدادي، تحقيق: مجدي السيد إبراهيم، مكتبة القرآن، القاهرة، ١٤١١هـ - ١٩٩٠م، ج ١ ص ١٢٨.

(٥) انظر: أدب الدنيا والدين - أبو الحسن علي محمد بن حبيب الماوردي، تحقيق: محمد كريم راجح، دار اقرأ، بيروت، ط ٤، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م، ص ١٩٣.

وقد جاء عن السلف الصالح نقولات في تلمس المعاذير وقبولها، منها:
قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: (لا تظن بكلمة خرجت من في مسلم شرّاً، وأنت تجد لها
في الخير محملاً)^(١).

وقال الحسن بن علي رضي الله عنه: (لو أن رجلاً شتمني في أذني هذه، واعتذر إلي في أذني
الأخرى، لقبّلت عذره)^(٢).

وقال محمد بن سيرين: (إذا بلغك عن أخيك شيء فالتمس له عذراً، فإن لم تجد
فقل: لعل له عذراً)^(٣).

وقال ابن المبارك: (المؤمن يطلب المعاذير، والمنافق يطلب العثرات)^(٤).
وقال إبراهيم بن أدهم: (اطلب لأخيك المعاذير من سبعين باباً، فإن لم تجد، فاعذره
أنت)^(٥).

وقال الأحنف: (إن اعتذر إليك معتذر، تلقّه بالبشر)^(٦).
وقال ابن قدامة: (فليس لك أن تظن بالمسلم شرّاً، إلا إذا انكشف أمر لا يحتمل
التأويل)^(٧).

وقال أحمد الزبيري:

يستوجب العفو الفتى إذا اعترف ثم انتهى عما أتاه واقتترف
لقوله سبحانه في المعتترف إن ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف^(٨)

(١) مداراة الناس - أبو بكر عبد الله بن محمد ابن أبي الدنيا القرشي البغدادي، تحقيق: محمد خير رمضان
يوسف، دار ابن حزم، بيروت، ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م، ط ١، ج ١ ص ٥٠.

(٢) الآداب الشرعية والمنح المرعية - محمد بن مفلح المقدسي ج ١ ص ٣١٩.

(٣) شعب الإيمان - البيهقي، رقم الحديث (٧٢٣٦)، ج ٥ ص ٤٤٩.

(٤) إحياء علوم الدين - أبو حامد الغزالي، ج ٢ ص ١٧٧.

(٥) ربيع الأبرار ونصوص الأخبار - محمود الزمخشري، تحقيق: د. سليم النعمي، ج ١ ص ٧٢٦.

(٦) الآداب الشرعية والمنح المرعية - محمد بن مفلح المقدسي، ج ١ ص ٣١٩.

(٧) مختصر منهاج القاصدين - أحمد بن قدامة المقدسي، اعتنى به وعلق عليه حسن عبد المنعم شلبي،
وصهيب حسين الزهران، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ١، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م، ج ١ ص ١٧٢.

(٨) الجامع لأحكام القرآن - القرطبي، ج ٧ ص ٤٠١.

وقال سالم الأسدي:

إذا ما بدت من صاحب لك زلة فكن أنت محتالاً لزلته عذراً^(١)

والداعية الحكيم من يتصف بسلامة الصدر، ونقاء السريرة في تعامله مع الآخرين، ويقبل معاذيرهم، ويحمل أفعالهم على الحسن منها ما أمكنه من غير تفتيش، ويلتمس لهم الأعذار، ويكون ذلك أدعى للعفو والصفح.

هذه أبرز الأسباب الباعثة على العفو، والمؤدية إليه، وهي -كما مر معنا- قيم معنوية، وصفات قلبية، يتخلق بها المسلم، مما يؤكد على أهمية سلامة القلب، وهذا يحتاج إلى ترويض ومعاودة، وبخاصة من جانب الدعاة إلى الله، حتى يظهر أثر ذلك على سماتهم، وأحوالهم، وسلوكهم، عفواً، وصفحاً، وتجاوزاً عن أخطاء الآخرين.

المطلب الثاني: موانع العفو:

إذا كان العفو مرغباً فيه، مندوباً إليه، ودعا الشارع الحكيم إلى التسابق في ميدانه، رجاء مغفرة الله ورضوانه، فإن هناك موانع تحجب العفو، وتعيّن العقوبة، ولذا وجب على الدعاة معرفتها، ولا يجوز الجهل بها، وهي مع تنوعها تندرج تحت مانعين رئيسيين:

الأول: أن يبلغ الأمر السلطات في قضايا الحدود:

الحدود في اللغة: جمع حدّ. وأصل الحدّ المنع، والفصل بين الشيئين، فكأنما حدود الشرع فصلت بين الحلال والحرام^(٢).

وفي الاصطلاح: الحدّ هو العقوبة المقدرة شرعاً^(٣).

وهذا التعريف شامل لجميع العقوبات التي حددها الشارع الحكيم، سواء أكان الحق فيها لله سبحانه وتعالى، أم كان الحق فيها رعاية لحق الآدميين، ويخرج بهذا التعريف التعزير، لأن عقوبته غير مقدرة^(٤).

وقد تواترت الأحاديث في وجوب إقامة الحدود الشرعية، عند بلوغها ولي الأمر، ولا

(١) شرح ديوان الحماسة لأبي تمام -أبوزكريا الخطيب التبريزي، كتب حواشيه غريد الشيخ، وضع فهارسه أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م، ج ٢ ص ٧٠٥.

(٢) انظر: لسان العرب -ابن منظور، ج ٣ ص ١٤٠.

(٣) شرح فتح القدير -كمال الدين محمد بن عبد الواحد السيواسي، دار الفكر، بيروت، ط ٢، ج ٥ ص ٢١٢.

(٤) انظر: العفو عن العقوبة في الفقه الإسلامي -أ. د. زيد بن عبد الكريم الزيد، دار العاصمة، الرياض، ط ١، ١٤١٠هـ، ص ٣١٧، ٣١٨.

يجوز له أن يعفو عنها متى ثبتت أمامه؛ لأن في تعطيلها إشاعة للفساد، وتمكيناً للرديلة، وتهويناً للفضيلة، وحرمت الشفاعة فيها، وأجازت العفو فيما دون الرفع، تجاوزاً، وستراً على المذنب^(١).

فعن عائشة رضي الله عنها أن قريشاً أهمهم شأن المرأة المخزومية^(٢) التي سرقت فقالوا: من يكلم فيها رسول الله ﷺ؟ فقالوا: ومن يجترئ عليه إلا أسامة بن زيد؛ حِبُّ رسول الله ﷺ؟ فكلمه أسامة، فقال رسول الله ﷺ: (أتشفع في حدٍّ من حدود الله؟). ثم قام فاختطب، ثم قال: (أيها الناس إنما أهلك الذين قبلكم، أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه، وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد، وأيم الله، لو أن فاطمة بنت محمد سرقت، لقطعت يدها)^(٣).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: (حدٌّ يعمل به في الأرض، خير لأهل الأرض من أن يُمطروا أربعين صباحاً)^(٤).

وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (من حالت شفاعته دون حدٍّ من حدود الله، فقد ضاد الله في أمره)^(٥).

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: (تعافوا الحدود فيما

(١) انظر: العفو عن العقوبة في الفقه الإسلامي والقانون الوضعي - د. سامح السيد جاد، دار الهدى، مصر، ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م، ص ٥١.

(٢) هي فاطمة بنت الأسود بن عبد الأسد، وكانت قد سرقت حلياً على عهد رسول الله ﷺ فاستشفعوا ... الحديث، وأمر الرسول ﷺ بقطع يدها، فقطعت، وقد حسنت توبتها بعد، وتزوجت رجلاً من بني سليم، وكانت تأتي إلى عائشة فتترفع حاجتها إلى رسول الله ﷺ، فيرحمها ويصلها، وقالت له يوماً: هل لي من توبة يا رسول الله؟ فقال: أنت اليوم من خطيئتك كيوم ولدتك أمك. انظر: فتح الباري شرح صحيح البخاري - أبو الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، تحقيق: محب الدين الخطيب، دار المعرفة، بيروت، ج ١٢ ص ٨٩ - ٩٥.

(٣) أخرجه البخاري في كتاب: الحدود، باب: كراهية الشفاعة في الحد إذا رفع إلى السلطان، رقم الحديث (٦٧٨٨)، ج ٨ ص ١٦٠، ومسلم في كتاب: الحدود، باب: قطع السارق الشريف وغيره، والنهي عن الشفاعة في الحدود، رقم الحديث (١٦٨٨)، ج ٣ ص ١٣١٥.

(٤) أخرجه ابن ماجه في كتاب: الحدود، باب: إقامة الحدود، رقم الحديث (٢٥٣٨)، ج ٢ ص ٨٤٨، وصححه الألباني في صحيح ابن ماجه، رقم الحديث (٢٥٢٩)، ج ٢ ص ٧٨.

(٥) أخرجه أحمد، رقم الحديث (٥٢٨٥)، ج ٩ ص ٢٨٣، وأبو داود، كتاب: القضاء، باب: في الرجل يعين على خصومة من غير أن يعلم أمرها، رقم الحديث (٢٥٩٧)، ج ٣ ص ٣٠٥، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب، رقم الحديث (١٨٠٩)، ج ٢ ص ١٦٨.

بينكم، فما بلغني من حدٍّ، فقد وجب^(١).

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: (ادروا الحدودَ عن المسلمين ما استطعتم، فإن كان له مخرج فخلوا سبيله، فإن الإمام أن يخطئ في العفو، خير من أن يخطئ في العقوبة)^(٢).

ويقول الزبير بن العوامؓ: (وإذا بلغت -أي الحدود- الإمام، فلعن الله الشافع والمشفّع)^(٣).

ويقول ابن عبد البر: (إن الشفاعة في ذوي الذنوب حسنة جميلة، ما لم تبلغ السلطان، وأن على السلطان أن يقيمها إذا بلغته)^(٤).

يقول النووي: (وقد أجمع العلماء على تحريم الشفاعة في الحدِّ بعد بلوغه إلى الإمام... وأما المعاصي التي لا حدَّ فيها، وواجبها التعزير، فتجوز الشفاعة والتشفيع فيها، سواء بلغت الإمام أم لا، لأنها أهون، ثم الشفاعة فيها مستحبة)^(٥).

الثاني: اشتهاه الجاني بالأذى والفساد:

إذا كان المذنب معروفاً بالشرِّ والأذى، مشهوراً بالفسق والفساد، فإن مثل هذا لا يعفى عنه، ولا يشفع فيه؛ لأنَّ العفو عنه ينافي حكمة مشروعية العفو؛ بل ربما كان العفو مدعاة للإصرار على ما قام به، وسبيلاً لاستتالته على الآخرين، وظلمه لهم؛ فتكون العقوبة في حقه ألصق وأفضل.

قال القرطبي: (ترك العفو مندوب إليه إذا احتيج إلى كف زيادة البغي، وقطع مادة الأذى)^(٦).

(١) أخرجه أبو داود، كتاب: الحدود، باب: العفو عن الحدود ما لم تبلغ السلطان، رقم الحديث (٤٢٧٦)، ج ٤ ص ١٣٣، وحسنه الألباني في صحيح الجامع الصغير، رقم الحديث (٢٩٥٤)، ج ١ ص ٥٢٧.

(٢) أخرجه الترمذي في كتاب: الحدود عن رسول الله ﷺ، باب: ما جاء في درء الحدود، رقم الحديث (١٤٢٤)، ج ٤ ص ٢٣، وصححه الحاكم في المستدرک على الصحيحين، رقم الحديث (٨١٦٢)، ج ٤ ص ٤٢٦.

(٣) انظر: موطأ الإمام مالك -أبو عبد الله مالك بن أنس الأصبحي، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، مصر، ج ٢ ص ٨٣٥.

(٤) فتح الباري شرح صحيح البخاري -ابن حجر العسقلاني، ج ١٢ ص ٩٥.

(٥) شرح النووي على صحيح مسلم -النووي، ج ١١ ص ١٨٦.

(٦) الجامع لأحكام القرآن -القرطبي، ج ١٦ ص ٤٤.

قال ابن الأزرقي: (العفو يفسد من الخسيس، بقدر ما يصلح من الرفيع)^(١).
قال النووي: (إذا كان المشفوع فيه صاحب شرٍّ وأذى للناس، فإن كان، لم يشفع فيه)^(٢).

وقال عبد الرحمن السعدي: (إذا كان الجاني لا يليق بالعفو عنه، وكانت المصلحة الشرعية تقتضي عقوبته، فإنه في هذه الحال، لا يكون مأموراً به)^(٣).

وقال ابن عثيمين: (فقد يكون هذا الذي جنى عليك، واجترأ عليك رجلاً شريراً، معروفاً بالشرِّ والفساد، فلو عفوْتَ عنه، لتمادى في شره وفساده، فالأفضل في هذا المقام أن تأخذ هذا الرجل بجريته، لأن في ذلك إصلاحاً)^(٤).

وقال الدكتور زيد الزيد: (إذا كان الجاني معروفاً بالفساد، وكان العفو وسيلة إلى تشجيع المسيء على الإساءة، فإن العقاب حينئذ هو المتعين في حقه... ومتى حصل بالعفو ضرر، كان ظلاماً من العافي، إما لنفسه أو لغيره، وبالتالي لا يكون هذا العفو مشروعاً)^(٥).

وبهذا يعلم أن الشارع الحكيم، أوجب إقامة الحدود إذا بلغت السلطان، وهي من أبرز موانع العفو، وأما قبل ذلك، فالشفاعة حسنة، وصاحبها مأجور، والعفو محمود، كما أن العقوبة تتأكد في حق الجاني المشتهر أمره بالأذى والفساد، ولم تكن زلة منه، مما يمنع معه العفو، أو طلب الشفاعة فيه، بخلاف الرجل العاقل المتزن، الذي وقع منه الخطأ، وتاب على ما كان، وسأل الله الرحمة والمغفرة، فحريّ بهذا أن يُشفّع فيه، والعفو في حقه أولى.

* * *

-
- (١) بدائع السلك - ابن الأزرقي، تحقيق: د. علي سامي النشار، وزارة الإعلام، العراق، ط١، ج١ ص ٧١، ٤.
 - (٢) شرح النووي على صحيح مسلم - النووي، ج ١١ ص ١٨٦.
 - (٣) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان - عبد الرحمن السعدي، ص ٧٦٠.
 - (٤) مجموع فتاوى ورسائل فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين - جمع وترتيب فهد السليمان، دار الوطن، ١٤١٣هـ، ج ٢٦ ص ٥٠٠.
 - (٥) انظر: العفو عن العقوبة في الفقه الإسلامي - أ. د. زيد بن عبد الكريم الزيد، ص ٦٤.

المبحث الثالث

المقاصد الدعوية لممارسات العفو

المطلب الأول: ترغيب الكفار في الإسلام:

من أهم مقاصد العفو الدعوية ترغيب الكفار، واستمالة قلوبهم للدخول في هذا الدين، وعدم الخوض معهم فيما مضى من إحن، وعداوات، ودماء؛ لأن الله تعالى يقول: ﴿قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ وَإِنْ يَعُودُوا فَقَدْ مَضَتْ سُنتُ الْأَوَّلِينَ﴾ (٣٨)، وكما جاء في الحديث: (الإسلام يهدم ما قبله) (٣).

وهذا لا يكون إلا من خلال إظهار محاسن الإسلام، وصورته المشرقة أمام الآخرين؛ فيكون التعامل الإنساني الأخلاقي المبني على العفو عند المقدرة، والتسامح مع المخطئ، والرحمة بالضعيف، وبذل المعروف للآخرين.

وقد كان العفو والإحسان من أخلاق نبينا محمد ﷺ، وهو سيد الدعاة إلى الله، وإمام أهل الصفح والتسامح. وكان العفو أحب إليه ﷺ من العقوبة، ودائماً ما كان يصفح عن خصومه من الكفار، ويقبل معاذيرهم، ويكل سرائرهم إلى الله تعالى؛ وكان لهذا جميل الأثر في استجابتهم لدعوته، واجتماع القلوب عليه، والدفاع عن هذا الدين. وحياته ﷺ تزر بالعدد من صور العفو عن الكفار، نذكر طرفاً منها:

عفوه ﷺ عن قريش يوم فتح مكة:

وفي السنة الثامنة للهجرة، وبعد أن من الله على رسوله ﷺ بفتح مكة، ودخلها ﷺ فاتحاً منتصراً، وقف ﷺ عند البيت، وصلى هناك، ثم دار فيه، وكبر في نواحيه. ووحد الله، ثم فتح الباب، وقريش قد ملأت المسجد ينظرون ماذا يصنع بهم، فأخذ بعِضَادَتِي الباب وهم تحته، فقال: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، صدق وعده، ونصر عبده، وأعز جنده، وهزم الأحزاب وحده. يا معشر قريش، إن الله قد أذهب عنكم نخوة الجاهلية، وتعظمها بالآباء، الناس من آدم، وآدم من تراب، ثم تلا هذه الآية: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ

(١) سورة الأنفال، الآية: [٣٨].

(٢) أخرجه مسلم في كتاب: الإيمان، باب: كون الإسلام يهدم ما قبله، وكذا الهجرة والحج، رقم الحديث (١٢١)، ج ١ ص ١١٢.

مِنْ ذَكَرُوا أَنِّي جَعَلْتُكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاهُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾ (١).
ثم قال: يا معشر قريش ما ترون أني فاعل بكم؟ قالوا: نقول خيراً، ونظن خيراً، نبيُّ
كريم، وأخ كريم، وابن أخ كريم. وقد قدرت. قال: فإني أقول لكم كما قال أخي
يوسف: ﴿قَالَ لَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ يَوْمَ يَكْفُرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ ﴿١٢﴾ (٢).
اذهبوا فأنتم الطلقاء. فخرجوا كأنهم نشروا من القبور، فدخلوا في الإسلام. وصدق الله
إذ يقول: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ﴿١﴾ وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ

أَفْوَاجًا ﴿٢﴾﴾ (٣) (٤).

والم تأمل في قوله عليه الصلاة والسلام: (اذهبوا فأنتم الطلقاء) يجد أنها مثقلة بكل
معاني الصفح والعفو، ولا يقدر على قولها والتفوه بها، إلا من أطلق حظوظ النفس والدنيا
من قلبه، وجعل همه خدمة الدين، وإعلاء كلمة الإسلام، ونشر دعوته بين الناس (٥).
هذا الحدث العظيم في العفو، والتسامح، لم تعرف البشرية له مثيلاً، فهو قدوة
الدعاة، إنه العفو الذي بلغ منتهاه، فكان سنة للفتاحين من بعده، فهو ﷺ لما دخل مكة
ظافراً، وأقدره الله على قومه، بعد أن كفروا به، وقاوموه إحدى وعشرين سنة، وأخرجوه
من بلده، وعذبوا أصحابه، وصادروا أموالهم، واليوم في موقف القوة والعزة والمنعة، ومع
ذلك لم ينتصر لنفسه، ولم ينتقم منهم، بل عفا عنهم، وأحسن إليهم؛ لما يرجو من
هدايتهم. وقد تحقق ما رجاه النبي ﷺ، فعرف القوم أن هذه هي أخلاق النبوة، فآمنوا به،
وصدقوه، ودخلوا في هذا الدين.

عفوهُ ﷺ عن ثمامة بن أثال سيد أهل اليمامة:

عن أبي هريرة ؓ قال: بعث النبي ﷺ خيلاً قبل نجد، فجاءت برجل من بني حنيفة،

(١) سورة الحجرات، الآية: [١٣].

(٢) سورة يوسف، الآية: [٩٢].

(٣) سورة النصر، الآية: [٢، ١].

(٤) انظر: زاد المعاد في هدي خير العباد - محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية، تحقيق: شعيب الأرنؤوط
وعبد القادر الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، مكتبة المنار الإسلامية، بيروت، ط ١٤٠٧هـ - ١٩٨٦م، ج ٣
ص ٤٠٨، ٤٠٧، سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد - محمد بن يوسف الصالحي الشامي، تحقيق
وتعليق: عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١٤١٤هـ -
١٩٩٣م، ج ٥ ص ٤٤٢.

(٥) انظر: الأسس العلمية لمنهج الدعوة الإسلامية دراسة تأصيلية على ضوء الواقع المعاصر - أ.د.
عبد الرحيم بن محمد المغنوي، دار الحضارة، الرياض، ط ١، ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م، ص ٢٢٢.

يقال له: ثمامة بن أثال، فربطوه بسارية من سواري المسجد، فخرج إليه النبي ﷺ فقال له: ما عندك يا ثمامة؟ فقال: عندي خير يا محمد، إن تقتلني تقتل ذا دم، وإن تُنعم تُنعم على شاكِر، وإن كنت تريد المال، فسَل تُعط منه ما شئت، فتركه النبي ﷺ، حتى كان الغد، ثم قال له: ما عندك يا ثمامة؟ قال: ما قلت لك: إن تُنعم تُنعم على شاكِر، فتركه حتى كان بعد الغد، فقال: ما عندك يا ثمامة؟ فقال: عندي ما قلت لك، فقال: أطلقوا ثمامة. فانطلق إلى نخلٍ قريب من المسجد، فاغتسل، ثم دخل المسجد، فقال: أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمداً رسول الله، يا محمد! والله ما كان على الأرض وجه أبغض إليّ من وجهك، فقد أصبح وجهك أحب الوجوه إليّ، والله ما كان من دين أبغض إليّ من دينك، فأصبح دينك أحب الدين إليّ، والله ما كان من بلد أبغض إليّ من بلدك، فأصبح بلدك أحبّ البلاد إليّ، وإن خيلك أخذتني، وأنا أريد العمرة، فماذا ترى؟ فبشّره رسول الله ﷺ، وأمره أن يعتمر، فلما قدم مكة، قال له قائل: أصبوت؟ فقال: لا، ولكن أسلمت مع محمد رسول الله ﷺ، ولا والله! لا تأتیکم من اليمامة حبة حنطة، حتى يأذن فيها النبي ﷺ^(١).

قال ابن حجر: (وفيه الملاطفة بمن يرجى إسلامه من الأسرى إذا كان في ذلك مصلحة للإسلام، ولا سيما من يتبعه على إسلامه العدد الكثير من قومه)^(٢).

فانظر إلى آثار عفو النبي ﷺ عن ثمامة ﷺ، كيف أنه كان سبباً في إسلامه، وتحوله من الكفر إلى الإيمان، وكيف كان سبباً في محبته للنبي ﷺ، ومحبة دينه، وبلده، وأصحابه، بعد أن كان كل ذلك أبغض الأشياء إليه، وكيف كان سبباً في جهاد ثمامة ﷺ مع رسول الله ﷺ، ومنعه عن الكفار ما كان يأتيهم من اليمامة من طعام، وكيف كان سبباً في إسلام كثير من الناس؛ لأنه كان كبير قومه، وسيدهم. فعلى الداعية أن يقتدي بالنبي ﷺ في أقواله وأفعاله في معاملته للآخرين، حتى يألّفه الناس ويحبوه، ويستجيبوا لدعوته عن طواعية. وحب لهذا الدين.

عفوهِ ﷺ عن الحبر اليهودي زيد بن سَعْتَةَ:

(١) أخرجه البخاري في كتاب: الصلاة، باب: وفد بني حنيفة وحديث ثمامة بن أثال، رقم الحديث (٤١١٤)، ج ٥ ص ١٧٠، ومسلم في كتاب: الجهاد والسير، باب: ربط الأسير وحبسهِ، وجواز المنّ عليه، رقم الحديث (١٧٦٤)، واللفظ له، ج ٣ ص ١٣٨٦.

(٢) فتح الباري شرح صحيح البخاري - ابن حجر العسقلاني، ج ٨ ص ٨٩، ٨٨.

أوردت كتب الحديث والسير أن زيد بن سَعْنَةَ قال: ما من علامات النبوة شيء إلا وقد عرفتها في وجه محمد ﷺ حين نظرت إليه، إلا اثنتين، لم أخبرهما منه: يسبق حلمه جهله، ولا تزيده شدة الجهل إلا حُلماً. وأراد أن يختبر الرسول ﷺ في ذلك، فابتاع منه تمرّاً إلى أجل، فلما كان قبل الأجل بيومين أو ثلاثة، خرج رسول الله ﷺ في جنازة، فلما صلى عليها، دنا من جدار، ليجلس إليه، فأخذ زيد بمجامع رداءه، ونظر إليه بوجه غليظ، فقال: يا محمد ألا تقضيني حقي، فوالله ما علمتكم بني عبدالمطلب لمُطْل، ولقد كان لي بمخالطتكم علم. فنظر إليه عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وعينه تدوران في وجهه كالفلك المستدير، وقال: أي عدو الله، أقول لرسول الله ﷺ ما أسمع، وتصنع به ما أرى، فوالذي بعثه بالحق، لولا ما أحاذر لومه لضربت بسيفي هذا عنقك. ورسول الله ﷺ ينظر إلى عمر رضي الله عنه في سكون وتؤدة، ثم تبسم، ثم قال: أنا وهو أحوج إلى غير هذا منك يا عمر، أن تأمرني بحسن الأداء، وتأمره بحسن التقاضي. اذهب به يا عمر، فاقضه حقه، وأعطه مكان ما رُعته عشرين صاعاً من تمر، فكان هذا الموقف سبباً في إسلامه، فقال: أشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً عبده ورسوله، وبايعه، وآمن به، وتصدق بنصف ماله، وشهد معه مشاهد كثيرة، ثم استشهد ﷺ في غزوة تبوك، مقبلاً غير مدبر^(١).

وهذا يعد من أعظم الأمثلة على عفو النبي ﷺ، وتأثيره في النفوس، فإن هذا الحبر اليهودي، ما كان ليدخل في الإسلام، وينفق شطر ماله على المسلمين، ويشهد المشاهد مع رسول الله ﷺ، ويقتل في أحدها شهيداً، مقبلاً غير مدبر، لولا عفو النبي ﷺ عنه، وحلمه عليه، وتسامحه معه، وصبره على أذاه، على الرغم من سوء أدبه، وتعديه بالقول والفعل على رسول الله ﷺ. وهذا يبين للدعاة ما ينبغي عليهم الالتزام في دعوتهم بالعفو والصفح، وعدم الانتصار للنفس في المواقف الصعبة، لينالوا مرادهم، وهو هداية الناس واستنقاذهم من النار، لأنهم لن يسعوا الناس بأموالهم، وإنما بحسن أخلاقهم ومعاملتهم.

(١) أخرجه ابن حبان في صحيحه، رقم الحديث (٢٨٨)، ج ١ ص ٥٢١، وصححه الحاكم في المستدرک على الصحيحين، رقم الحديث (٢٢٣٧)، ج ٢ ص ٣٧. وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه، وأبو نعيم في دلائل النبوة - إسماعيل بن محمد بن الفضل الأصبهاني، تحقيق: محمد محمد الحداد، دار طيبة، الرياض، ط ١٤٠٩ هـ، ج ١ ص ٢٣٣.

عفوه ﷺ عن لبيد بن الأعصم اليهودي^(١)؛

عن عائشة رضي الله عنها قالت: (سُحِرَ النبي ﷺ؛ حتى إنه لِيُخَيَّلَ إليه أنه يفعل الشيء وما يفعله، حتى إذا كان ذات يوم وهو عندي، دعا الله، ثم دعا، ثم دعا، ثم قال يا عائشة: أشعرت أن الله قد أفتاني فيما استفتيته فيه، جاءني رجلان، فجلس أحدهما عند رأسي، والآخر عند رجلي، ثم قال أحدهما لصاحبه: ما وجع الرجل؟ قال: مطبوب، قال: ومن طبه؟ قال: لبيد بن الأعصم اليهودي من بني زريق، قال: في أي شيء؟ قال: في مُشْطٍ ومُشَاطة^(٢)، وَجَفَّ طَلْعَةً ذَكَرَ^(٣)، قال: فأين هو؟ قال: في بئر ذي أروان، قالت عائشة: فأتاها النبي ﷺ في أناس من أصحابه، ثم قال: يا عائشة، والله لكان ماءها نُقَاعَةَ الْحِنَاءِ^(٤)، وَلَكَأَنَّ نَخْلَهَا رُؤُوسَ الشَّيَاطِينِ، قلت: يا رسول الله أفلا أحرقتة؟ قال: لا، ... فأمرت بها فدفنت^(٥)، وجاء في بعض كتب الحديث: قالوا يا رسول الله! أفلا نؤم الخبيث! فتقلته؟! فقال: أما أنا فقد شفاني الله، وأكره أن أثير على الناس شرًّا^(٦)).

قال ابن كثير: (وكذلك عفا ﷺ عن لبيد بن الأعصم، الذي سحره عليه السلام، ومع هذا لم يعرض له، ولا عاتبه، مع قدرته عليه)^(٧).
وقال ابن حجر: (فأخذه النبي ﷺ، فاعترف، فعفا عنه)^(٨).

نعم لقد حاول اليهود منذ بزوغ الرسالة النيل من هذا الدين، ونبينا محمد ﷺ، وهذا شأنهم في نقض العهود، والمواثيق؛ حتى أن النبي ﷺ، لم يسلم من شرهم. فهذا

(١) بعض المبتدعة أنكروا هذا الحديث، وزعموا أنه يحطّ منصب النبوة، ويشكك فيها، وردّ عليهم ذلك، بقيام الدليل على صدقه ﷺ فيما بلغه من الله تعالى، وعلى عصمته في التبليغ، وأما ما يتعلق ببعض أمور الدنيا التي لم يبعث لأجلها، فهو في ذلك عرضة لما يعترض البشر كالأمراض. فالسحر تسلط على جسده، وظواهر، وجوارحه، لا على تمييزه، ومعتقده. انظر: عمدة القاري شرح صحيح البخاري - بدر الدين محمود العيني، تحقيق: عبد الله محمود، دار الكتب العلمية، ط ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م، ج ٢١ ص ٢٨٠.

(٢) المُشْط والمُشَاطة: فالمُشْط آلة يمتشط بها، والمُشَاطة: ما سقط من الشعر عند مشطه.. انظر: المعجم الوسيط - إبراهيم مصطفى وآخرون، ج ٢ ص ٨٧١.

(٣) وَجَفَّ طَلْعَةً ذَكَرَ: الجَفَّ أي غشاء طلع النخل، انظر: لسان العرب - ابن منظور، ج ٩ ص ٢٨.

(٤) ماءها نُقَاعَةُ الْحِنَاءِ: الماء الذي يُنْتَقَع فيه، فأصبح لونه يميل إلى الحمرة كالحناء. انظر: المصباح المنير - أحمد الفيومي، ج ٢ ص ٦٢٢.

(٥) أخرجه البخاري في كتاب: الطب، باب: السحر، ج ٧، ص ١٢٦، رقم الحديث (٥٧٦٣)، ومسلم في كتاب: السلام، باب: السحر، رقم الحديث (٢١٨٩)، ج ٤ ص ١٧٢٠.

(٦) انظر: عمدة القاري شرح صحيح البخاري - بدر الدين محمود العيني، ج ١٥ ص ٩٨.

(٧) تفسير القرآن العظيم - ابن كثير، ج ٤ ص ١١٩.

(٨) فتح الباري شرح صحيح البخاري - ابن حجر العسقلاني، ج ١٠ ص ٢٣١.

اليهودي أراد بطلاسمه السحرية أن يؤذي النبي ﷺ، والسحر بضاعة يهودية. لكن الله سبحانه أحبط كيده، وأبطل سحره، بإعلام نبيه ﷺ عن مكانه. ومن المعلوم في شريعتنا أن المعاهد إذا فعل مثل ذلك، ينتقض عهده، ومع ذلك، فإنه ﷺ، وهو القدوة الماثلة للدعاة إلى الله، لم ينتقم لنفسه، بل أثر العفو على العقوبة، وأحلى سبيله.

عفو ﷺ عن المرأة اليهودية^(١)؛

عن أنس رضي الله عنه أن امرأة يهودية أتت رسول الله ﷺ بشاة مسمومة، فأكل منها، فجاء بها إلى رسول الله ﷺ، فسألها عن ذلك. فقالت: أردت لأقتلك، قال: ما كان الله ليسلطك على ذاك. قالوا: ألا نقتلها؟ قال: لا^(٢). وفي رواية: ما حملك على الذي صنعت؟ قالت: إن كنت نبياً لم يضرك، وإن كنت ملكاً أرحت الناس منك^(٣). فعفا عنها رسول الله ﷺ، ولم يعاقبها^(٤).

يقول ابن كثير: (فأطلقها عليه الصلاة والسلام، ولكن لما مات منه -أي السم- بشر بن البراء رضي الله عنه قتلها به)^(٥).

لم يكن فعل هذه المرأة اليهودية التي تعمدت قتل النبي ﷺ بأقل من أذى ذلك اليهودي وسحره، وعلى الرغم من افتضاح أمرها، وشناعة جرمها، فإنه ﷺ لم يأمر بقتلها؛ بل أمر بإخلاء سبيلها، وضرب ﷺ مثلاً يحتذى في العفو والمسامحة، وهكذا النفوس

(١) ذكر العلماء كلاماً نفيساً حول تأثير هذا السم على النبي ﷺ، وتوابعه بعد ذلك، فأوردوا قول أنس رضي الله عنه: (فما زلت أعرفها في لهوات رسول الله ﷺ)، واللهوات جمع لهواة وهي اللحم المعلقة في أصل الحنك، ومراده ﷺ أنه كان يعتربه المرض من تلك الأكلة أحياناً، وبقي بعد ذلك ثلاث سنين، حتى قال في وجعه الذي مات فيه من حديث عائشة رضي الله عنها من رواية البخاري: (ما أزال أجد ألم الطعام الذي أكلت بخبير، فهذا أوان انقطاع أبهري من ذلك السم)، والأبهر: عرق في الظهر. قال الزهري: فتوفي رسول الله ﷺ شهيداً. انظر: زاد المعاد في هدي خير العباد - ابن قيم الجوزية، ج ٣ ص ٣٢٧، ٣٢٨. فتح الباري شرح صحيح البخاري - ابن حجر العسقلاني، ج ١٠ ص ٢٤٧.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب: الهبة، باب: قبول الهدية من المشركين، رقم الحديث (٢١١٧)، ج ٣ ص ١٦٣، ومسلم في كتاب: السلام، باب: السحر، رقم الحديث (٢١٨٩)، ج ٤ ص ١٢٩.

(٣) أخرجه أبو داود في كتاب: الديات، باب: فيمن سقى رجلاً سمّاً أو أطعمه فمات، أيقاد منه؟ رقم الحديث (٤٥١٤)، ج ٤ ص ٢٩٦، وقال الألباني في صحيح أبي داود رقم الحديث (٤٥١٢)، ج ٤ ص ١٧٤: حسن صحيح.

(٤) أخرجه البيهقي في السنن الكبرى، ج ٨ ص ٤٦، وقال عبد القادر الأرناؤوط في تحقيق جامع الأصول في أحاديث الرسول لابن الأثير الجزري، ج ١١ ص ٣٢٨: «وإسناده منقطع، فإن الزهري لم يسمع من جابر بن عبد الله، لكن يشهد له الأحاديث التي قبله، فهو بها صحيح».

(٥) تفسير القرآن العظيم - ابن كثير، ج ٤ ص ١١٩.

الكبيرة تركز إلى العفو، وتنحاز إلى الصفح، والتسامح، والتنازل عن الحقوق، طمعاً في تحقيق المراد، وهو هداية الخلق إلى سبيل الرشاد.

عفوهُ ﷺ عن غورث بن الحارث:

عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما، أنه غزا مع رسول الله ﷺ قَبْلَ نَجْدٍ، فلما قفل رسول الله ﷺ قفل معه، فأدركتهم القائلة في واد كثير العِصَاة، فنزل رسول الله ﷺ، وتفرق الناس يستظلون بالشجر، فنزل رسول الله ﷺ تحت سَمْرَةٍ، وعلّق بها سيفه، ونمنا نومة. ثم إذا رسول الله ﷺ يدعوننا، فجئنا، وإذا عنده أعرابي، فقال ﷺ: (إن هذا اختلط عليّ سيفي وأنا نائم، فاستيقظت وهو في يده صلتاً. فقال: من يمنعك مني؟ فقلت: الله ثلاثاً. فما هو ذا جالس، ثم لم يعاقبه رسول الله ﷺ^(١)). وجاء في بعض كتب الحديث إكمالاً لهذه الرواية: فوقع السيف من يده، فأخذه النبي ﷺ، وقال: من يمنعك مني؟ قال: لا أحد. قال: قم فإذهب لشأنك، فلما ولّى قال: أنت خير مني، وأنا أشهد أن لا إله إلا الله، وأنت رسول الله، ثم أتى قومه، فدعاهم إلى الإسلام^(٢).

قال ابن حجر: (فمنّ عليه، لشدة رغبة النبي ﷺ في استئلاف الكفار؛ ليدخلوا في الإسلام، ولم يؤاخذه بما صنع، بل عفا عنه)^(٣).

فتأمل الفقه الدعوي المستنبط من عفو النبي ﷺ عن هذا الأعرابي. فقد كان يمكن للنبي ﷺ أن يقتل هذا الأعرابي، أو يأمر بقتله، لكنه غلب جانب العفو، ولم ينتقم لنفسه قط، لأن الانتقام للنفس بعيد عن أخلاق النبوة، ثم إنه ﷺ استثمر ذلك الموقف، للترغيب في الإسلام، فكان سبباً في هداية هذا الأعرابي، وإنقاذه من النار، وهذا هو مقصد رسالته ﷺ، بل إنه رجع إلى قومه، فدعاهم إلى الله. كل هذه المكاسب الدعوية، إنما حصلت، بسبب عفو النبي ﷺ عن الأعرابي، وما كانت لتحصل لو عاقبه النبي ﷺ، وانتقم منه.

ونخلص مما تقدم أن الطريق إلى قلوب الناس، يحتاج إلى جهد كبير، ونفوس زكية، تستعلي على شهوة العقوبة، وحب الانتقام، وهذا هو عين المطلوب من الدعاة إلى الله،

(١) أخرجه البخاري في كتاب: الجهاد والسير، باب: تفرق الناس عن الإمام عند القائلة والاستئلال بالشجر، رقم الحديث (٢٩١٣)، ج ٤ ص ٤٠، وكتاب: المغازي، باب: غزوة ذات الرقاع، رقم الحديث (٤١٣٥)، ج ٥ ص ١١٤.

(٢) انظر: عمدة القاري شرح صحيح البخاري - بدر الدين محمود العيني، ج ١٤ ص ١٩٠.

(٣) فتح الباري شرح صحيح البخاري - ابن حجر العسقلاني، ج ٧ ص ٤٢٧.

بأن تتضافر الجهود في تقديم صورة مشرقة عن الإسلام، دين العفو، والسماحة، والرحمة، سواء في السلم أو الحرب، وهذا كفيل بإذن الله تعالى في استمالة الناس، والدخول في هذا الدين.

المطلب الثاني: تأليف قلوب المؤمنين:

إن مجتمعاً تسود فيه معاني الإسلام السامية من العفو، والصفح، والرحمة، والتسامح، جدير بأن يكون مجتمعاً متماسكاً، متعاوناً على الخير، سليماً من العيوب والمشكلات، التي تعصف بالمجتمعات الأخرى، التي لا تكاد تقيم وزناً لتلك المعاني في حياتها، وتستبدلها بحب الذات، والأنانية، والشدة، والانتقام.

والناس أحوالهم مختلفة، وسلوكياتهم متباينة، وطبائعهم شتى، وهم بحاجة إلى كنف رقيق، ورعاية حانية، وقلب كبير يسعهم، وود لا يضيق بجهلهم^(١)، وليس أبلغ من حسنة يقدمها المحسن إلى المسيء، يتألف بها قلبه، ويصره بخطئه، ويستصلح شأنه، ويعيده إلى الحق^(٢).

ولذا وجب على الدعاة إلى الله، تحقيق مقاصد العفو الدعوية؛ من خلال تأليف القلوب، ومداراتها، واستصلاحها. والنفوس العالية هي التي تعفو عمن أساء إليها، واعتدى عليها؛ بل وتقابل الإساءة بالإحسان، مصداقاً لقوله تعالى: ﴿أُولَٰئِكَ يُؤْتُونَ أَجْرَهُمْ مَرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا وَيَدْرُءُونَ بِالْحَسَنَةِ أَلَسَيْنَاهُ مِمَّا رَفَعْنَاهُمْ يُفْخَرُونَ﴾^(٣)، وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَسْتَوِ الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾^(٤). يقول علاء الدين الكاساني: (وهو -أي العفو- من أصعب الأسباب على النفس، وأشقها عليها، ولا يوفق له إلا من عظم حظه من الله، وهو إطفاء نار الحاسد، والباغي، والمؤذي، بالإحسان إليه، فكلما ازداد أذى، وشرراً، وبغياً، وحسداً، ازدادت إليه إحساناً، وله نصيحة، وعليه شفقة)^(٥).

(١) انظر: مبادئ ونماذج في القدوة -صالح بن عبد الله بن حميد، دار إشبيلية، الرياض، ط ١٣١٤هـ، ص ٢٤.

(٢) انظر: دعوة الإسلام -السيد سابق، ص ١٥٠.

(٣) سورة القصص، الآية: [٥٤].

(٤) سورة فصلت، الآية: [٣٤].

(٥) بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع -علاء الدين الكاساني، دار الكتاب العربي، بيروت، ط ٢، ١٩٨٢م، ج ٢ ص ٤٦٨.

ويقول عبد الرحمن السعدي: (ومعلوم ما يحصل للعافي من الخير، والثناء عند الخلق، وانقلاب العدو صديقاً، وانقلاب الناس مع العافي، ونصرتهم له بالقول والفعل على خصمه)^(١).

ويقول محمد العثيمين: (وكل إنسان يتصل بالناس، فلا بد أن يجد منهم شيئاً من الإساءة، فموقفه من هذه الإساءة أن يعفو، ويصفح، وليعلم علم اليقين، أنه بعفوه، وصفحه، ومجازاته بالحسن، سوف تنقلب العداوة بينه وبين أخيه إلى ولاية، ومحبة، وصداقة. قال تعالى: ﴿وَلَا تَسْتَوِ الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾^(٢)، وتأملوا أيها العارفون باللغة العربية كيف جاءت النتيجة بـ"إذا" الفجائية، لأن "إذا" الفجائية تدل على الحدوث الفوري في نيتها، ولكن ليس كل أحد يوفق، لذلك قال: ﴿وَمَا يُلْقِهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلْقِهَا إِلَّا ذُو حِظٍّ عَظِيمٍ﴾^(٣). ويقول الدكتور زيد الزيد: (وكم أحال العفو البغض والكراهية حباً، والبعد والنفور قرباً. وإن معالجة الاعتداء بالعفو، هو الطريق الذي يبذل الحقد والحسد بالألفة والمودة، والبغض بالمحبة، كيف لا يكون للعفو وقعه في إصلاح المعتدي، وهو يشعر بأن العفو جاء سماحة، وكرماً من خصمه)^(٤).

فخلق العفو من العوامل الرئيسة في تقوية أواصر المحبة، والأخوة الإسلامية في المجتمع المسلم، وهو من أعظم أنواع الإحسان، وهو دليل الرحمة، والشفقة على المعفو عنه، والإنسان مجبول على محبة من أحسن إليه.

ولنا في رسول الله ﷺ أسوة حسنة في العفو، والصفح، والدعوة إلى الإحسان، وعدم مقابلة الإساءة بالمثل. تقول عنه عائشة بنت أبي بكر رضي الله عنهما: (ولا يجزي بالسيئة السيئة، ولكن يعفو ويصفح)^(٥).

فقد كان رسول الله ﷺ يداري المنافق الذي يظهر خلاف ما يبطن، حرصاً منه على اجتماع كلمة المسلمين، ويتجاوز عن الجلف الجاهل الذي لا يحسن الخطاب، حتى يثبت

(١) بهجة قلوب الأبرار وقرة عيون الأخيار في شرح جوامع الأخبار - عبد الرحمن السعدي، ص ٨٩.

(٢) سورة فصلت، الآية: [٣٤].

(٣) سورة فصلت، الآية: [٣٥].

(٤) العفو عن العقوبة في الفقه الإسلامي - أ.د. زيد بن عبد الكريم الزيد، ص ٥٦، ٥٧.

(٥) تقدم تخريجه.

الإيمان في قلبه، ويعضو عن المسيء مهما بلغت إساءته، رجاء تقويمه وإصلاحه. كل ذلك من أجل تأليف القلوب، واستمالتها لطريق الخير والصلاح. ومن الشواهد النبوية الدالة على العفو ما يلي:

عفوه ﷺ عن عبد الله بن أبي بن سلول:

عن عروة بن الزبير قال: أخبرني أسامة بن زيد رضي الله عنهما، أن النبي ﷺ ركب حماراً، عليه قطيفة فدكية، وأردف وراءه أسامة بن زيد، وهو يعود سعد بن عبادَةَ في بني الحارث بن الخزرج، وذلك قبل وقعة بدر، حتى مرّ في مجلس، فيه أخلاط من المسلمين والمشركين عبدة الأوثان، واليهود، وفيهم عبد الله بن أبي بن سلول، وفي المجلس عبد الله بن رواحة، فلما غشيت المجلس عجاجة الدابة، خمر عبد الله بن أبي أنفه بردائه، ثم قال: لا تُغَيِّرُوا علينا، فسَلَّم عليهم النبي ﷺ، ثم وقف، فنزل، فدعاهم إلى الله، وقرأ عليهم القرآن، فقال عبد الله بن أبي بن سلول: أيها المرء، لا أحسن من هذا، إن كان ما تقول حقاً، فلا تؤذنا به في مجالسنا، وارجع إلى رحلك، فمن جاءك منا، فاقصص عليه، قال ابن رواحة: اغشنا في مجالسنا، فإننا نحب ذلك، فاستبّ المسلمون، والمشركون، واليهود، حتى همّوا أن يتواثبوا، فلم يزل النبي ﷺ يخفضهم، ثم ركب دابته، حتى دخل على سعد بن عبادَةَ، فقال: أي سعد، ألم تسمع ما قال أبو حباب؟ يريد عبد الله بن أبي، قال: كذا وكذا، قال: اعف عنه يا رسول الله، واصفح، فوالله لقد أعطاك الله الذي أعطاك، ولقد اصطاح أهل هذه البحرة على أن يتوجّوه، ويعصّوه بالعصاة، فلما ردّ الله ذلك بالحق الذي أعطاك، شرق بذلك، فذلك فعل به ما رأيت، فعضا عنه النبي ﷺ^(١).

قال النووي: (وفي هذا الحديث، بيان ما كان عليه النبي ﷺ من الحلم، والصفح، والصبر على الأذى في الله تعالى، ودوام الدعاء إلى الله تعالى، وتألف قلوبهم، والله أعلم)^(٢). فانظر إلى تجاسر هذا المنافق، وسوء أدبه مع المصطفى ﷺ، يدفعه إلى ذلك فيما يظهر للناس الغيرة والحسد، وحرمانه من الملك الذي كان ينتظره، مع أنه كان يخبئ إلى جانب ذلك النفاق، الذي لم يكن واضحاً للمسلمين، لكن الرسول ﷺ بحكمته البالغة،

(١) أخرجه البخاري في كتاب: التفسير، باب: ولتسمعن من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم، رقم الحديث (٤٥٦٦)، ج ٦ ص ٢٩.

(٢) شرح النووي على صحيح مسلم - النووي، ج ١٢ ص ١٥٩.

ونظرته الثاقبة، لم يعاقبه، لإدراكه أن عقوبة مثل هذا الشخص، ستحدث باباً من أبواب الفتنة بين المؤمنين، ولهذا عفا عنه، وكان يتلطف معه، ويقبل منه ما لا يقبل من غيره، جمعاً للكلمة، وتأليفاً للقلوب، ودرءاً للفتنة عن المؤمنين. وهذا يبين أن الداعية لابد أن يلتزم بضبط النفس، ورباطة الجأش، فلا يستفز من قبل المخالفين، لإخراجه عن أخلاق الإسلام؛ مما يسبب حرجاً للدعوة، وتفرق الناس عنها، واتهام الدعاة بالعجلة، وسوء الخلق مع المخالفين، فالداعية الحق، يصبر على الأذى، ويتجرع مرارة كظم الغيظ، ويتنازل عن حقوقه، لا ضعفاً، بل إرضاءً لله عز وجل، وإعلاءً لكلمته، ونشراً للدعوة في الآفاق.

عفوه ﷺ عن ذي الخويصرة التميمي:

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: بينما نحن عند رسول الله ﷺ وهو يقسم قسماً، أتاه ابن ذي الخويصرة التميمي، فقال: يا رسول الله اعدل، فقال: ويلك، فمن يعدل إذا لم أعدل؟ قد خبت وخسرت إن لم أكن أعدل. فقال عمر رضي الله عنه: يا رسول الله، انذن لي فيه، فأضرب عنقه، فقال: معاذ الله أن يتحدث الناس أني أقتل أصحابي، إن هذا وأصحابه يحقر أحدكم صلاته مع صلاتهم، وصيامه مع صيامهم، يقرؤون القرآن لا يجاوز تراقيهم، يمرقون من الدين، كما يمرق السهم من الرمية^(١).

أورد البخاري هذا الحديث تحت باب: (ترك قتال الخوارج للتألف، وأن لا ينفر الناس عنه)^(٢)، وهذا من فقهه رحمه الله، وفيه إشارة إلى أن العفو مطلب ضروري في تأليف القلوب ومداراتها.

قال النووي: (صبراً، استبقاءً لانقيادهم، وتأليفاً لغيرهم، لئلا يتحدث الناس، أنه يقتل أصحابه، فينفروا)^(٣).

وقال ابن حجر: (إن ترك الأمر بقتله، بسبب أن له أصحاباً بالصفة المذكورة... فيحتمل أن يكون لمصلحة التألف)^(٤).

(١) أخرجه البخاري في كتاب: الأدب، باب: ما جاء في قول الرجل: ويلك، رقم الحديث (٦١٦٣)، ج ٨ ص ٣٨، ومسلم في كتاب: الزكاة، باب: ذكر الخوارج وصفاتهم، رقم الحديث (١٠٦٣)، ج ٢ ص ٧٤٠.

(٢) انظر: صحيح البخاري - محمد بن إسماعيل البخاري، ج ٩ ص ١٧.

(٣) شرح النووي على صحيح مسلم - النووي، ج ٧ ص ١٥٩.

(٤) فتح الباري شرح صحيح البخاري - ابن حجر العسقلاني، ج ١٢ ص ٢٩٣.

هذا هو الفقه النبوي الدعوي، فعلى الرغم من استطالة الرجل في جنب المصطفى ﷺ، واتهامه إياه بعدم العدل، لم يوافق ﷺ على قتله، بل تركه، حتى لا يظن أحد أنه ﷺ يقتل أصحابه لأدنى شبهة، وحتى يكون تأليفاً لغيره، سواء من يعيشون في عصره، أو من يأتي بعد ذلك من الأجيال المتلاحقة، التي تنظر في مواقف الإسلام، ونبي الإسلام من المخالفين، فتتأثر بتلك المواقف، التي قد تكون سبباً في هدايتها، واستقامتها على منهاج النبوة.

عفوه ﷺ عن الأنصاري البدرى:

عن عروة، عن عبد الله بن الزبير رضي الله عنه، حدثه أن رجلاً من الأنصار، قد شهد بدرًا، خاصم الزبير رضي الله عنه عند النبي ﷺ، في شراح من الحرة، كانا يسقيان به النخل، فقال الأنصاري: سرح الماء يمرّ، فأبى عليه، ثم اختصما، فقال رسول الله ﷺ: اسق يا زبير، ثم أرسل الماء إلى جارك. فغضب الأنصاري، وقال: يا رسول الله، أن كان ابن عمك. فتلوّن وجه رسول الله ﷺ، ثم قال: اسق يا زبير، ثم احبس الماء حتى يبلغ إلى الجدر، ثم أرسل الماء إلى جارك. وكان رسول الله ﷺ قبل ذلك، أشار على الزبير برأي فيه سعة له وللأنصاري، فلما أحفظ - أي جفا - الأنصاري رسول الله ﷺ، استوعى للزبير حقه في صريح الحكم. قال الزبير: ما أحسب هذه الآية نزلت إلا في ذلك: ﴿فَلَا وَرَيْكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ (١٦) (٢).

قال محمد الزرهوني: (لم يؤاخذه ﷺ، لتألفه للناس، وصفحه عنهم) (٣).

فهذا الموقف النبوي الرائع تجاه هذا الأنصاري، ومقابلة إساءته بالصفح، يرشد الدعاة إلى الله، أن يؤثروا جانب العفو فيما يتعلق بحقوقهم الشخصية، ويحتسبوا الأجر عند الله، وهو أبلغ من مئات الخطب والمواعظ، التي تفتقر إلى مثل هذا التطبيق العملي، لأن هدف الدعاة ليس الانتصار للنفس، والعقوبة بالمثل، وإنما تأليف القلوب واستصلاحها، وهذا أدعى لقبول دعوتهم في المجتمع.

(١) سورة النساء، الآية: [٦٥].

(٢) أخرجه البخاري في كتاب: المساقاة، باب: سكر الأنهار، رقم الحديث (٢٢٣١)، ج ٣ ص ١١١، وكتاب: الصلح، باب: إذا أشار الإمام بالصلح فأبى حَكَمَ عليه بالحكم البين، رقم الحديث (٢٥٦١)، ج ٣ ص ١٨٧.

(٣) الفجر الساطع على الصحيح الجامع شرح صحيح البخاري من باب المبعث إلى نهاية كتاب اللباس - محمد الفضيل الشبيهي الإدريسي الزرهوني، تحقيق: د. فؤاد ريشة، ج ٦ ص ٦١.

عفوهُ ﷺ عن الأعراب الجفافة:

واجه النبي ﷺ مواقف عديدة مع الأعراب، الذين اشتهر عنهم الجهل، والشدة، والغلظة، والجفاء، فتعدّى بعضهم على مقامه ﷺ، وأسأؤوا إليه بالقول والفعل، فلم ينتصر رسول الله ﷺ لنفسه، وأثر بحكمته، ورحابة صدره، أن يعفو، ويحسن إليهم. ونتناول صوراً من هذه المواقف.

الموقف الأول:

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: (كنت أمشي مع رسول الله ﷺ، وعليه برد نجراني غليظ الحاشية، فأدركه أعرابي، فجبذه بردائه جبذة شديدة، حتى نظرت إلى صفحة عاتق رسول الله ﷺ، قد أثرت بها حاشية البرد من شدة جبذته، ثم قال: يا محمد، مرّ لي من مال الله الذي عندك، فالتفت إليه رسول الله ﷺ، ثم ضحك، ثم أمر له بعطاء)^(١). فانظر هنا إلى تناول هذا الأعرابي على مقام النبي ﷺ، وإساءته له بالقول والفعل، وكيف قابل رسول الله ﷺ ذلك بالتبسم، ولم يزرجه، بل أمر له بالمال، وهو بذلك يجسد لنا معاني العفو والإحسان لكل من أساء إلينا.

الموقف الثاني:

عن عائشة رضي الله عنها قالت: استلف رسول الله ﷺ من رجل من الأعراب تمرّاً، فلما جاءه يتقاضاه، رجع به رسول الله ﷺ إلى بيته، والتمس له تمرّاً فلم يجد، فخرج إليه رسول الله ﷺ، فقال له: يا عبد الله، ليس عندنا اليوم، فإن شئت أخرت عنا؛ حتى يأتينا فنقضيك. فقال الأعرابي: واغدراه، فنهّمه الناس، وقالوا: قاتلك الله، أيغدر رسول الله ﷺ! فقال رسول الله ﷺ: دعوه، فإن لصاحب الحق مقالاً، ثم عاد له رسول الله ﷺ، فقال: يا عبد الله، ليس عندنا اليوم، فإن شئت أخرت عنا؛ حتى يأتينا فنقضيك، فقال الأعرابي: واغدراه، فنهّمه الناس، وقالوا: قاتلك الله، أيغدر رسول الله ﷺ! فقال رسول الله ﷺ: دعوه، فإن لصاحب الحق مقالاً. وأعاد رسول الله ﷺ ما قال مرتين أو ثلاثاً، فلما رآه لا يفقه عنه، قال: انطلقوا إلى خولة بنت حكيم الأنصارية، فالتمسوا لنا عندها تمرّاً، فانطلقوا، فقالت: والله ما عندي إلا تمر ذخيرة - العجوة -، فأخبروا رسول الله ﷺ، فقال: خذوه فاقضوه.

(١) أخرجه البخاري في كتاب: اللباس، باب: البرود والحبرة والشملة، رقم الحديث (٥٨٠٩)، ج ٧ ص ١٤٦.

فلما قضوه، مرّ الأعرابي برسول الله ﷺ، وهو جالس في أصحابه، فقال: جزاك الله خيراً، فقد أوفيت وأطيت، فقال رسول الله ﷺ: أولئك خيار عباد الله عند الله يوم القيامة، الموفون المطيبون^(١).

وهذا الأعرابي بجهله، وسوء خلقه، جعله يتوهم بتبئيت الغدر في حقه، وهذا انتقاص صريح لمقام النبوة، ومع ذلك نهى رسول الله ﷺ أصحابه من انتهاره، والتمس له العذر بأنه صاحب حق، وحاول ﷺ استجلاء الموقف للأعرابي مراراً، ولكن يظهر أن الجهل قد تملكه، واستمر على عناده، ومكابرتة، وهو ما جعل المصطفى ﷺ يسارع باستلاف الدين، وإعطائه حقه في الحال، الأمر الذي انعكس على الأعرابي إيجاباً، برجوعه إلى جادة الصواب، والتناء، والدعاء للرسول ﷺ بحسن الوفاء.

الموقف الثالث:

عن أبي هريرة ؓ أن رجلاً أتى النبي ﷺ يتقاضاه بغيراً، فأغلظ، فهمّ به أصحابه، فقال رسول الله ﷺ: دعوه، فإن لصاحب الحق مقالاً، ثم قال: أعطوه سنّاً مثل سنّه، قالوا: يا رسول الله، ما نجد إلا سنّاً أفضل من سنّه، فقال: أعطوه، فإن من خيركم أحسنكم قضاءً^(٢).

وهذا الرجل لم يحترم مكانة النبي ﷺ، فأغلظ القول، وكاد الصحابة أن يقعوا فيه، لشدة غلاظته، وجفائه، لكن نبي الرحمة أمرهم أن يتركوه، ولم يعاتبه على ما جرى منه، بل نعته بأنه صاحب حق، ولأنه ﷺ أكرم الكرماء، عوّضه بغيراً أفضل من بغيره. هكذا فليكن الدعاة إلى الله في مقام تأليف القلوب، ومداراتها، بالحلم على الجاهل، والعفو والصفح عن المسيء، والإحسان والجود إليه، وهذا له تأثيره الدعوي في المدعوين، فتزرع المحبة في القلوب، وتزول العداوة من النفوس، وتقوى روابط الأخوة الإسلامية بينهم، ويظفر الدعاة بثقة المدعوين، والانقياد للحق، والاستجابة لدعوتهم.

(١) انظر: مسند الإمام أحمد بن حنبل - أبو عبد الله أحمد بن حنبل الشيباني، ج ٤ ص ٢٣٩، حلية الأولياء وطبقات الأصفياء - أبو نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني، ج ١٠ ص ٢٩٠، وقال محققو المسند: إسناده حسن.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب: الوكالة، باب: الوكالة في الديون، رقم الحديث (١٣٠٦)، ج ٢ ص ٩٩، ومسلم في كتاب: المساقاة والمزارعة، باب: من استسلف شيئاً فقضى خيراً منه، وخيركم أحسنكم قضاء، رقم الحديث (١٦٠١)، ج ٢ ص ١٢٢٥.

المطلب الثالث: إنصاف الخدم والضعفاء:

لقد جاء الإسلام بالخير والسعادة، لأنه دين الرحمة، والعفو، والإحسان، فأمر أتباعه بتزكية النفوس وتهذيبها، والتسامح مع كافة فئات المجتمع؛ بخاصة الموالى ومن في حكمهم من الخدم والضعفاء، ممن يدفعون عند الأبواب، ولا يجدون من يهتم بهم. فأَنْصَفَ الشارع الحكيم الموالى، وأمر بالرفق بهم، والشفقة عليهم، ورعاية حقوقهم، والتخفيف عنهم، وإعطائهم أجورهم، وترك الإساءة إليهم^(١).

وحث رسول الله ﷺ الأمة على حسن معاملتهم، ورفع من شأنهم بما يليق بإخوتهم، فقال: (إخوانكم خولُكم^(٢))، جعلهم الله تحت أيديكم، فمن كان أخوه تحت يده، فليطعمه مما يأكل، وليلبسه مما يلبس، ولا تكلفوهم ما يغلبهم، فإن كلفتموهم فأعينوهم^(٣)).

ورغب ﷺ في الإحسان إليهم في حجة الوداع، فقال: (أرأؤكم أطمعوهم مما تأكلون، واكسوهم مما تلبسون، فإن جاؤوا بذنب، لا تريدون أن تغفروهم، فبيعوا عباد الله، ولا تعذبوهم^(٤))، وكان آخر كلامه ﷺ قبل موته: (الصلاة، وما ملكت أيمانكم^(٥))، ورتب على ظلمهم القصاص يوم الحساب بقوله: (لا يضرب أحد عبداً له وهو ظالم له، إلا أقيد منه يوم القيامة^(٦)).

وكان لنبي الرحمة محمد ﷺ مواقف عظيمة، يتجلى فيها جانب العفو مع الخدم، والضعفاء، والتي يصعب حصرها في هذا المقام، نتناول طرفاً منها:

-
- (١) انظر: دعوة الإسلام – السيد سابق، ص ١٧٢.
 - (٢) خولُكم: أي حشمكم وخدمكم، مأخوذ من التحويل وهو التملك، وقيل من الرعاية. انظر: عمدة القاري شرح صحيح البخاري – بدر الدين محمود العيني، ج ١٣ ص ١٠٧.
 - (٣) أخرجه البخاري في كتاب: الإيمان، باب المعاصي من أمر الجاهلية، رقم الحديث (٢٠)، ج ١ ص ١٥، ومسلم في كتاب: الإيمان والنذور، باب: إطعام المملوك مما يأكل والباسه مما يلبس ولا يكلفه ما يغلبه، رقم الحديث (١٦٦١)، ج ٣ ص ١٢٨٢.
 - (٤) أخرجه أحمد، رقم الحديث (١٦٤٠٩)، ج ٢٦ ص ٢٣٤، وحسنه الألباني في صحيح الجامع الصغير، رقم الحديث (٩٠٥)، ج ١ ص ٩١.
 - (٥) أخرجه أحمد، رقم الحديث (١٢٦٩)، ج ١٩ ص ٢٠٩، وابن ماجه في كتاب: الجنائز، باب: ما جاء في ذكر مرض رسول الله ﷺ، رقم الحديث (١٦٢٥)، ج ١ ص ١١٩، وقال الألباني في صحيح الترغيب والترهيب، ج ٢ ص ٢٧٩: صحيح لغيره.
 - (٦) أخرجه البخاري في الأدب المفرد، رقم الحديث (١٨١)، ج ١ ص ٧٤، وصححه الألباني في صحيح الأدب المفرد، رقم الحديث (١٣٤)، ج ١ ص ٨٢.

عن عائشة رضي الله عنها قالت: (ما ضرب رسول الله ﷺ بيده خادماً قط، ولا امرأة، ولا ضرب بيده شيئاً قط، إلا أن يجاهد في سبيل الله)^(١).

فكثيراً ما يقع الضرب والتعدي على فئة الخدم عند مَنْ يعملون لديهم، فجاء ذكرهم هنا على لسان عائشة رضي الله عنها؛ إنصافاً لهم ببيان المنهج النبوي التربوي في التعامل معهم، فلم تمتدّ يده الشريفة على أيٍّ منهم، وعلى الدعاة إلى الله، تذكير أولئك الذين استترعاهم الله هذه الفئة، بأن يتقوا الله فيهم، ويكسروا حظوظ النفس في معاقبتهم، حتى ولو أخطأوا، ويغلبوا جانب العفو والإحسان إليهم.

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: خدمت رسول الله ﷺ عشر سنين، والله ما قال لي أف قط، ولا قال لي لشيءٍ: لم فعلت كذا، وهلاًّ فعلت كذا؟ وفي رواية: (فما قال لي لشيءٍ فعلته، لم فعلته، ولا لشيءٍ لم أفعله، ألا فعلته، ولا قال لي لشيءٍ كان: ليته لم يكن، ولا لشيءٍ لم يكن، ليته كان، وكان بعض أهله إذا لامني، يقول: دعوه، فلو قضي شيء، لكان)^(٢). ويقول أنس رضي الله عنه أيضاً: (كان رسول الله ﷺ من أحسن الناس خلقاً، فأرسلني يوماً لحاجة. فقلت: والله لا أذهب. وفي نفسي أن أذهب لما أمرني به نبي الله ﷺ، فخرجت حتى أمر على صبيان، وهم يلعبون في السوق، فإذا رسول الله ﷺ قد قبض بقفاي من ورائي. قال: فنظرت إليه، وهو يضحك! فقال: يا أنيس! أذهبت حيث أمرتك؟ قلت: نعم أنا أذهب يا رسول الله ﷺ)^(٣).

نعم كان نبي الرحمة ﷺ عظيماً في أخلاقه، رؤوفاً عطوفاً بأنس ﷺ، الذي خدمه أكثر من عشر سنين، فلم يلمه في شيء، بل كان يمنع غيره من لومه، وفي هذا بيان لكمال خلقه ﷺ، وحسن عشرته، فكان ﷺ خير الخلق لأهله، وخدمه، ولأن أنس ﷺ - كغيره من الغلمان - يخطئ وينسى، كان النبي ﷺ يعامله بالعفو، والإحسان، والبشر، والمسامحة.

(١) أخرجه أحمد، رقم الحديث (٢٥٩٥٦)، ج ٤ ص ١٠٩، وأبو داود، كتاب: الأدب، باب: في التجاوز في الأمر، رقم الحديث (٤٧٨٦)، ج ٤ ص ٢٥٠، وابن حبان في صحيحه، رقم الحديث (٦٤٤٤)، ج ١٤ ص ٣٥٥، وقال محققو المسند: إسناده صحيح على شرط الشيخين.

(٢) أخرجه مسلم في كتاب: الرؤيا، باب: كان رسول الله ﷺ أحسن الناس خلقاً، رقم الحديث (٢٣٠٩)، ج ٤ ص ١٨٠٤، وليس فيه: وكان بعض أهله ... وذكره ابن تيمية في الاحتجاج بالقدر، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، ص ٤٢، وقال الألباني في تعليقه على الكتاب: صحيح.

(٣) أخرجه مسلم في كتاب: الرؤيا، باب: كان رسول الله ﷺ أحسن الناس خلقاً، رقم الحديث (٢٣١٠)، ج ٤ ص ١٣٠٥.

فهو حين أرسله ﷺ لحاجة، لم يذهب أنس لما أمره رسول الله ﷺ، بل ذهب يلعب مع الصبيان في السوق، وتأخر على النبي ﷺ، حتى ذهب النبي ﷺ يبحث عنه، ومع ذلك جاءه النبي ﷺ من خلفه، وقبض بقفاه، وهو يضحك، وكأنه يداعبه، ثم ناداه باسمه مصغراً فقال: (يا أنيس)، وفيه أيضاً من التلطف، والمداعبة، حتى لا يفرغ، أو يخاف، ثم إنه لم يقل له: لماذا لم تذهب، بل قال له: (أذهبت حيث أمرتك؟)، وكأن أمره له بالذهاب، إنما هو على التراخي، وليس على الفور؛ ولذلك قال أنس: نعم، أنا أذهب يا رسول الله، ولم يلجئه رسول الله ﷺ إلى الاعتذار. كل ذلك يفعله رسول الله ﷺ مع خادم له، مما يدل على حسن خلقه، وكريم معاملته لهذه الفئة الضعيفة، التي لا يحسب لها حساب في كثير من مجتمعاتنا اليوم.

فيا ليت الدعاة إلى الله، أن يستحضروا هذا المنهج النبوي في دعوتهم للآخرين، وأن يرسخوا هذه المبادئ النبيلة في نفوس أرباب العمل مع مخدوميهم، ويجعلوا من المصطفى ﷺ أسوة لهم في التعامل معهم، ومراعاة أحوالهم وغربتهم، واحتساب الأجر فيهم.

يروى أن رجلاً جاء إلى النبي ﷺ، فقال: يا رسول الله! كم تعفو عن الخادم؟ فصمت، ثم أعاد عليه الكلام، فصمت، فلما كان في الثالثة، قال: أعفو عنه في كل يوم سبعين مرة^(١).

قال محمد المباركفوري: (ولعل السكوت، لانتظار الوحي، وقيل لكرهية السؤال، فإن العفو مندوب إليه مطلقاً دائماً، لا حاجة فيه إلى تعيين عدد مخصوص، والله تعالى أعلم)^(٢).

هكذا كان الرسول ﷺ ينصف شريحة الخدم في المجتمع، ويعلم أصحابه كيف يكون العفو، ولو أخطأوا في اليوم سبعين مرة، فأين هذا من أخلاق ما يسمى بالمدينة

(١) أخرجه أبو داود، كتاب: الأدب، باب: في حق المملوك، رقم الحديث (٥١٦٦)، ج ٤ ص ٣٤٢، والترمذي في كتاب: البر والصلة، باب: ما جاء في العفو عن الخادم، رقم الحديث (١٩٤٩)، ج ٤ ص ٣٣٦، وقال: حسن غريب، والبيهقي في السنن الكبرى، رقم الحديث (١٥٥٧٧)، ج ٨ ص ١٠، وصححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة، رقم الحديث (٤٨٨)، ج ١ ص ٨٠٠.

(٢) تحفة الأحوزي بشرح جامع الترمذي - أبو العلا محمد عبدالرحمن المباركفوري، دار الكتب العلمية، بيروت، ج ٦ ص ٦٩.

الحديثة، التي هضمت حقوق الفقراء والضعفاء، وانتصرت للأغنياء، وذوي النفوذ والسلطان، حتى ساد تلك المجتمعات روح العداوة والبغضاء بين فئاته، وهضمت حقوقهم، وتعرض الكثير منهم للإهانة، والتعذيب النفسي والجسدي، دون أن يكون هناك من ينادي بحقوقهم، ويرفع الظلم عنهم. وعلى الدعاة إلى الله أن يعودوا بالمجتمع المسلم إلى أخلاق النبوة، وآداب الرسالة التي قضت باحترام هذه الشرائع المجتمعية، وإعادة الحقوق إليها، وإشعارها بقيمتها المعنوية، ورفع الظلم عنها، وعدم تكليفها ما لا تطيق، فهذا هو السبيل إلى إيجاد مجتمع متوازن متآلف متآخ، يعفو ويصفح فيه الناس بعضهم عن بعض، ويتعاونون فيما بينهم على البر والتقوى.

روى أبو مسعود البصري رحمه الله قال: كنت أضرب غلاماً لي بالسوط، فسمعت صوتاً من خلفي: اعلم أبا مسعود! فلم أفهم الصوت من الغضب، فلما دنا مني، إذا هو رسول الله ﷺ، فإذا هو يقول: اعلم أبا مسعود! أن الله تعالى أقدر عليك منك على هذا الغلام، فقلت: لا أضرب مملوكاً بعده أبداً. وفي رواية: فقلت: يا رسول الله! هو حر لوجه الله تعالى، فقال: أما لو لم تفعل، لَلْفَحْتُ النار، أو لمَسْتُ النار^(١).

قال النووي: (فيه الحث على الرفق بالمماليك، وحسن صحبتهم، وأجمع المسلمون على أن عتقه بهذا ليس واجباً، وإنما هو مندوب، رجاء كفارة ذنبه، وإزالة إثم الظلم عنه)^(٢).

ما أعظم هذا الخلق النبوي في إنصاف الضعفاء، ورفع الظلم عنهم، فهو عليه الصلاة والسلام قدوة الدعاة، يبيِّن أبا مسعود بحجم خطئه في حق هذا الغلام الضعيف، بأسلوب الإعلام والنصح، لا التوبيخ والزجر، ويوضح له بأن قدرة الله فوق قدرة المخلوقين، وكان من ثمار ذلك، عدم عودة أبي مسعود إلى الإساءة لهذا الغلام مرة أخرى، بل دفعه إلى عتقه، تكفيراً لما مضى، وابتغاء مرضاة الله تعالى.

وهناك نماذج مشرفة لصحابة رسول الله ﷺ، في حسن معاملتهم للموالي

(١) أخرجه مسلم في كتاب: الأيمان والنذور، باب: صحبة المماليك، وكفارة من لطم عبده، رقم الحديث (١٦٥٨)، ج ٣ ص ١٢٧٩.

(٢) عون المعبود شرح سنن أبي داود - محمد شمس الحق العظيم آبادي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ٢، ١٩٩٥م، ج ١٤ ص ٤٧.

والضعفاء، ومراعاة حقوقهم، والتورع عن ظلمهم، وعفوهم عنهم وإن أخطأوا. فقد روى أبو ليلى قال: خرج سلمان، فإذا علف دابته يتساقط من الآري^(١)، فقال لخادمه: لولا أنني أخاف القصاص لأوجعتك^(٢).

وعن زاذان الكندي قال: أتيت ابن عمر رضي الله عنه، وقد أعتق مملوكاً له، فأخذ من الأرض عوداً، أو شيئاً، فقال: ما لي فيه من الأجر ما يساوي هذا، سمعت رسول الله ﷺ يقول: (من لطم مملوكه، أو ضربه، فكفّارته أن يعتقه)^(٣).

وجاء عن معاوية بن سويد بن مقرن، قال: لطمتُ مولياً لنا، فدعاه أبي، ودعاني، فقال: امثل منه، فعفا. وفي رواية: اقتص منه. فإننا معشر بني مقرن، كنا سبعة على عهد النبي ﷺ، وليس لنا إلا خادم، فلطمها رجل منا، فقال رسول الله ﷺ: (أعتقوها). قالوا: إنه ليس لنا خادم غيرها، قال: (فليستخدموها حتى يستغنوا، فإذا استغنوا، فليخلوا سبيلها)^(٤).

فانظر إلى محاسبة صحابة رسول الله ﷺ لأنفسهم، وخشيتهم من الله، وخوفهم من القصاص الأخروي إن هم أخطأوا بحق هؤلاء الموالى والضعفاء، فأى دين هذا الدين الذي أنصفهم؛ بأن كفّل حقوقهم؛ فجعل ثمن اللطمة يلطمها أحدهم أن يعتق من الرق، ويكون حراً؛ وجعل له حقاً في القصاص حتى ممن يملكه، ويعمل عنده، وأي أثر يتركه الإسلام في نفوس هؤلاء الخدم والضعفاء بعد أن حرّروهم، ورفع شأنهم. وهذا يوجب على الدعاة إلى الله تجلية هذه المواقف العملية وغيرها، وتقديمها كما جاءت إلى أرباب العمل، والتعاهد على مراقبة الله فيهم؛ وحينها بإذن الله نكفل لهذه الفئة حقاً في الحياة الكريمة، والعيش الهنيء بلا ظلم، ولا اضطهاد، ولا عسف، ولا إيذاء، والله يحب المحسنين.

وحكي عن جعفر بن محمد، أن غلاماً له، وقف يصب الماء على يديه، فوقع الإبريق

(١) الآري: هو محبس الدابة، وقيل معلقها. انظر: إصلاح المنطق - أبو يوسف يعقوب بن إسحق بن السكيت، دار المعارف، القاهرة، ط ٤، تحقيق: أحمد شاكر وعبد السلام هارون، ج ١ ص ٣١٢.

(٢) أخرجه البخاري في الأدب المفرد، رقم (١٨٢)، ج ١ ص ٧٤، وصححه الألباني في صحيح الأدب المفرد ج ١ ص ٨٢.

(٣) أخرجه مسلم في كتاب: الأيمان والنذور، باب: صبة المماليك، وكفارة من لطم عبده، رقم الحديث (١٦٥٧)، ج ٣ ص ١٢٧٩.

(٤) أخرجه مسلم في كتاب: الأيمان والنذور، باب: صبة المماليك، وكفارة من لطم عبده، رقم الحديث (١٦٥٨)، ج ٣ ص ١٢٧٩.

من يد الغلام في الطست، فطار الرشاش في وجهه، فنظر جعفر إليه نظر مغضب، فقال: يا مولاي، (والكاظمين الغيظ)، قال: قد كظمت غيظي، قال: (والعافين عن الناس)، قال: لقد عفوت عنك، قال: (والله يحب المحسنين)، قال: اذهب، فأنت حرٌّ لوجه الله تعالى^(١).

فهذا الموقف يبين لنا بوضوح روح التسامح، والرحمة التي كانت لدى أسلاف الأمة تجاه مخدوميهم. فعلى الرغم من التأثير البادي على وجه جعفر من تصرف الغلام غير المقصود، لكنه لم ينتصر لنفسه، ولم يجعل للشيطان عليه سبيلاً، بل ترك لغلامه أن يتكلم بحرية عن الموقف، ويذكر سيده بآيات الله عز وجل، فكان وقعها عليه كبيراً، فهو لم يكظم غيظه فحسب؛ بل عفا عنه، وزاد على ذلك بلوغه درجة الإحسان؛ بإعتاقه الغلام لوجه الله تعالى.

وحريٌّ بالدعاة إلى الله أن يلفتوا أنظار المجتمع إلى هذه الفئة، من خلال التواصل مع أصحاب العمل؛ بالعودة إلى أخلاق الإسلام، والالتزام بما كان عليه النبي ﷺ وأصحابه الكرام رضي الله عنهم؛ من حيث البر والصلة والإحسان إليهم، واحترام العقود، وعدم مصادرة حقوقهم، ورفع الظلم عنهم، ومعاملتهم بالحسن في جوٍّ أخوي كريم. وليس هذا بدعاً، فهو امتداد تاريخي للتعاليم السامية التي نادى بها الإسلام منذ ظهوره تجاه هذه الفئة التي استرعانا الله فيها، فالإسلام وضع قواعد حقوق الإنسان، وطبقها أتباعه في واقع الحياة، وساوى بين السادة والعبيد في الحقوق والواجبات، في زمن لم يكن فيه للضعفاء والعبيد أية حقوق.

المطلب الرابع: إقالة عثرات ذوي الهيئات:

لقد حث الإسلام على إقالة عثرات ذوي الهيئات، ودعا إلى تجاوز زلاتهم، وتسديد خللهم، وعدم الحطّ من قدرهم، أو انتقاصهم؛ لا سيما أهل الفضل منهم؛ فكان حقهم علينا حفظ هيبتهم، ووقارهم، ورفع الملامة عنهم، وأعظم بذلك أثراً في تحريك دوافع الخير في نفوسهم، والبذل والعطاء في سبيل رفعة هذا الدين.

وينبغي للداعية إلى الله أن (يتجاوز عن ذنب المسيء، ويعفو عن زلاته، ويخصّه بوجوه البر، والمكرمة، والشفقة، فإن ذلك أبلغ في قبول الدعوة، وأحرى إلى

(١) المستطرف في كل فن مستظرف - شهاب الدين محمد الأبهشي، ج ١ ص ٤١٧.

الاستجابة^(١).

فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (من أقال مسلماً، أقال الله عثرته يوم القيامة)^(٢).

وعن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال: (أقيلوا ذوي الهيئات عثراتهم إلا الحدود)^(٣).

فهذه الأحاديث وغيرها، تدعو إلى إقالة العثرة، وغفران الزلة عن المؤمنين، بخاصة ذوي الهيئات، والمروءات منهم، ورتبت على ذلك عفو الله عنهم يوم العثرات والعصرات عند لقاء الله تعالى.

ومن أعظم النماذج النبوية في إقالة عثرات المؤمنين، والصفح عنهم، ما فعله رسول الله ﷺ مع حاطب بن أبي بلتعة، الذي أفسى سر رسول الله ﷺ، وأخبر قريشاً بما أخفاه عنهم رسول الله ﷺ، فقد قال علي رضي الله عنه: بعثني رسول الله ﷺ أنا، والزبير، والمقداد، فقال: (انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ، فإن بها ظعينة معها كتاب، فخذوه منها). قال: فانطلقنا نَعَادَى بنا خيلنا، حتى أتينا الروضة، فإذا نحن بالظعينة، قلنا لها: أخرجي الكتاب. قالت: ما معي كتاب. فقلنا: لتُخرجي الكتاب، أو لنُلقيَنَّ الثياب. قال: فأخرجته من عِقَاصِهَا، فأتينَا به رسول الله ﷺ، فإذا فيه: من حاطب بن أبي بلتعة إلى ناسٍ بمكة من المشركين، يخبرهم ببعض أمر رسول الله ﷺ، فقال رسول الله ﷺ: (يا حاطب ما هذا؟) قال: يا رسول الله لا تعجل علي، إني كنت أمراً مُلصَقاً في قريش - يقول: كنت حليفاً - ولم أكن من أنفُسِهَا، وكان من معك من المهاجرين من لهم قَرابات، يحمون أهلهم، وأموالهم، فأحببت إذ فاتني ذلك من النسب فيهم، أن اتخذ عندهم يداً يحمون قرايتي، ولم أفعله

(١) الدعوة إلى الله وجوبها وفضلها وأخلاق الدعاة - عبد الله بن محمد بن حميد، دار طويق، الرياض، ص ٢٨.

(٢) أخرجه أبو داود، كتاب: البيوع، باب: في فضل الإقالة، رقم الحديث (٣٤٦٠)، ج ٣ ص ٢٧٤، وابن ماجه في كتاب: التجارات، باب: الإقالة، رقم (٢١٩٩)، ج ٢ ص ٧٤١، وابن حبان، رقم الحديث (٥٠٣٠)، ج ١١ ص ٤٠٥، والبيهقي في شعب الإيمان، رقم الحديث (١٠٩١٣)، ج ٦ ص ٢٦٠، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب، رقم الحديث (١٧٥٨)، ج ١ ص ١٦٢.

(٣) أخرجه أحمد، رقم الحديث (٢٥٤٧٤)، ج ٤٢ ص ٣٠٠، والبخاري في الأدب المفرد رقم الحديث (٤٦٥)، ج ١ ص ١٦٥، وأبو داود، كتاب: الحدود، باب: في الحد يشفع فيه، رقم الحديث (٤٣٧٥)، ج ٤ ص ١٣٣، وصححه الألباني في صحيح الأدب المفرد، رقم الحديث (٣٦٢)، ج ١ ص ١٩١.

ارتداداً عن ديني، ولا رضا بالكفر بعد الإسلام. فقال رسول الله ﷺ: (أما إنه قد صدقكم)، فقال عمر: يا رسول الله! دعني أضرب عنق هذا المنافق. فقال ﷺ: (إنه قد شهد بدراً، وما يدريك لعل الله اطلع على من شهد بدراً. فقال: اعلّموا ما شئتم، فقد غفرت لكم).
فأنزل الله السورة ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَنْ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ حَرَجْتُمْ جِهَدًا فِي سَبِيلِي وَابْتِغَاءَ مَرْصَافٍ تُسْرُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنْتُمْ وَمَنْ يَفْعَلْهُ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴿١﴾﴾ (١٣/١).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: (فهذه السيئة العظيمة، غفرها الله له بشهود بدر) (٢).
وقال ابن القيم: (من قواعد الشرع والحكمة أيضاً، أن من كثرت حسناته، وعظمت، وكان له في الإسلام تأثير ظاهر، فإنه يحتمل له ما لا يحتمل لغيره، ويعفى عنه ما لا يعفى عن غيره، فإن المعصية خبث، والماء إذا بلغ قلتين لم يحمل الخبث، بخلاف الماء القليل، فإنه لا يحتمل أدنى خبث.... فأخبر أنه شهد بدراً، فدل على أن مقتضى عقوبته قائم، لكن منع من ترتب أثره عليه ماله من المشهد العظيم، فوقع تلك السقطة العظيمة مغتفرة في جنب ما له من الحسنات) (٤).

وقال بدر الدين العيني: (وإنما فعل حاطب ذلك متأولاً في غير ضرر لرسول الله ﷺ، وعلم الله صدق نيته، فنجاه من ذلك) (٥).

لا شك أن ما فعله حاطب ﷺ كان خطأ عظيماً، وربما يفسره البعض بأنه خيانة لله ورسوله ﷺ، لكنه لم يقصد به الإضرار بالنبي ﷺ، ولا رغبة عن الإسلام، وإنما حماية لقرابته من أذى الكفار في مكة، ولذلك كان نبي الرحمة ﷺ حكيماً في التعامل مع الموقف.

(١) سورة الممتحنة، آية: [١].

(٢) أخرجه البخاري في كتاب: الجهاد والسير، باب: الجاسوس، رقم الحديث (٣٠٠٧)، ج ٤ ص ٥٩، ومسلم في كتاب: فضائل الصحابة، باب: من فضائل أهل بدر وقصة حاطب بن أبي بلتعة، رقم الحديث (٢٤٩٤)، ج ٤ ص ١٩٤٩.

(٣) مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية - جمع وترتيب عبدالرحمن بن قاسم، تحقيق: أنور الباز وعامر الجزار، دار الوفاء، ط ٢، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م، ج ٣ ص ٦٨.

(٤) مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة - أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية، دار الكتب العلمية، بيروت، ج ١ ص ١٧٦.

(٥) عمدة القاري شرح صحيح البخاري - بدر الدين محمود العيني، ج ١٤ ص ٢٥٦.

وترك المجال لحاطب، وبدون تعنيف، ليتحدث عن السبب الذي ألجأه إلى هذا الفعل، ثم عفا عنه بعد السؤال، بل ودافع عنه، لصدقه فيما قال، ولأن له سابقة في الإسلام، تتمثل في شهوده بدرأ، فكان ذنبه مغتفراً.

وضرب أبو بكر الصديق ﷺ أروع الأمثلة في إقالة العثرات، في عفوهِ عن مسطح بن أثاثه ﷺ في حادثة الإفك، بل والأخذ بيده، والإنفاق عليه، ابتغاء مغفرة الله ورضوانه. قال تعالى: ﴿وَلَا يَأْتَلِ أُولُو الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولَى الْقُرْبَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (١).

قال ابن كثير: (وهذه الآية نزلت في الصديق ﷺ، حين حلف ألا ينفع مسطح بن أثاثه بِنافعة، بعدما قال في عائشة ما قال، فلما أنزل الله براءة أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها، وطابت النفوس المؤمنة، واستقرت، وتاب الله على من كان تكلم من المؤمنين في ذلك، وأقيم الحد على من أقيم عليه، شرع الله تبارك وتعالى - وله الفضل والمنة - يُعْطَفُ الصديق على قريبه ونسيبه، وهو مسطح بن أثاثه ﷺ، فإنه كان ابن خالة الصديق، وكان مسكيناً لا مال له، إلا ما ينفق عليه أبو بكر ﷺ، وكان من المهاجرين في سبيل الله، وقد زلق زلقة^(٢)، تاب الله عليه منها، وضرب الحد عليها. وكان الصديق ﷺ معروفاً بالمعروف، وله الفضل والأيادي على الأقارب والأجانب، فلما نزلت هذه الآية إلى قوله (ألا تحبون أن يغفر الله لكم والله غفور رحيم)، فإن الجزاء من جنس العمل، فكما تغفر ذنب من أذنب، يغفر الله لك، وكما تصفح يصفح عنك، فعند ذلك قال الصديق: بلى والله إنا نحبُّ يا ربنا أن تغفر لنا، ثم رجع إلى مسطح ما كان يصله من النفقة، وقال: والله لا أنزعها منه أبداً في مقابلة ما كان^(٣)).

قال ابن عباس رضي الله عنهما: (إن جماعة من المؤمنين قطعوا منافعهم عن كل من قال في الإفك، وقالوا: والله لا نصل من تكلم في شأن عائشة، فنزلت الآية... غير أن الآية تتناول الأمة إلى يوم القيامة، بالألا يغتاز ذو فضل وسعة، فيحلف ألا ينفع من هذه

(١) سورة النور، الآية: [٢٢].

(٢) زلقة: من زلق، تقول زلقت رجله. انظر: مختار الصحاح - الرازي، ص ٢٨٠.

(٣) تفسير القرآن العظيم - ابن كثير، ج ٣ ص ٢٣٠.

صفته غابر الدهر^(١).

هذه هي النفوس المؤمنة التي هذبها العفو، وطهرها الصفح، وزكاها التسامح، والغفران، ورضي الله تعالى عن أبي بكر الذي تسامى عن الانتصار للنفس، وتجرد عن حظوظ الدنيا، واحتمل لمسطح إساءته، وغفر له عثرته، على الرغم من شناعتها، وعطف عليه، وجازاه بالإحسان، والجود، رجاء مغفرة الله، ورضوانه. وفي هذه القصة درس عملي للدعاة إلى الله، بأن يغفروا سقطات الآخرين، ويقللوا عثراتهم، وبخاصة أولئك الذين لهم سبق في فعل الخير، فيغفروا زلاتهم ببحر حسناتهم، وليس هذا من باب الضعف، أو المذلة كما يظن آخرون؛ بل هو من باب العفو عند المقدرة، وهذا هو الشرف الحقيقي.

وقد أفاض سلفنا الصالح الحديث عن إقالة العثرات، ومن ذلك:

قال الفضيل بن عياض: (الفتوة: الصفح عن عثرات الإخوان)^(٢).

وقال عمرو بن عثمان المكي: (المروءة التغافل عن زلل الإخوان)^(٣).

قيل لخالد بن صفوان: أي الإخوان أحب إليك؟ قال: من سدد خللي، وغفر زللي، وقبل علي^(٤).

وقال الأحنف: (من حق الصديق أن يتحمل ثلاثاً: - وذكر منها- وظلم الهفوة)^(٥).

وقال أبو حامد الغزالي: (أما زلت في حقه بما يوجب إيحاشه، فلا خلاف في أن الأولى العفو والاحتمال)^(٦).

ويقول بعضهم: (من عادة الكريم إذا قدر غفر، وإذا رأى زلة ستر)^(٧).

هكذا فليكن الدعاة مع إخوانهم المؤمنين، يجبرون عثراتهم، ويقبلون معاذيرهم، ويتغافلون عن ماضيهم، فتسمو نفوسهم، وتشرق قلوبهم، وتسلم صدورهم من

(١) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز - أبو محمد عبد الحق بن عطية الأندلسي، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية، لبنان، ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م، ط١، ج ٤ ص ١٧٣.

(٢) مدارج السالكين - ابن قيم الجوزية، ج ٢ ص ٣٤١.

(٣) شعب الإيمان - البيهقي، ج ٦ ص ٣٢٠.

(٤) المرجع السابق، ج ٦ ص ٢٣٠.

(٥) العقد الفريد - ابن عبد ربه الأندلسي، ج ٢ ص ١٥٢.

(٦) إحياء علوم الدين - أبو حامد الغزالي، ج ٢ ص ١٧٨.

(٧) المستطرف في كل فن مستظرف - شهاب الدين محمد الأبهشي، ج ١ ص ٤٠٦.

الحقد والظغينة، وحب الانتقام، ويشعرون بالطمأنينة، وراحة البال، وهذا من أهم مقاصد العفو الدعوية.

وليدرك الدعاة كذلك، بأن دعوتهم رحمة وشفقة بحال بالمدعويين، قبل أن تكون إقامة للحجة، وأخذاً بالعقوبة، فالداعية ليس قاضياً يحكم على الناس وفق قواعد شرعية لا يحيد عنها؛ بل إنه طبيب للقلوب، يتخير للمريض الدواء المناسب لمرضه، فيعمل على تبصير المخطئ بخطئه، بالطف عبارة، وأحسن أسلوب، دون تعنيف، أو تشهير، ويكون سهلاً متسامحاً، قابلاً للمعاذير، وهذا يدفع المدعو إلى التوبة، والندم، وإصلاح النفس، والبعد عن مواطن الشبهات، ويدفعه كذلك إلى محبة إخوانه، الذين أقالوا عثرته، ونبهوه على خطئه.

كما يقع على عاتق الدعاة تعزيز مفهوم إقالة العثرات في المجتمع؛ لما له من أثر فاعل في تقوية اللحمة بين أفراده؛ لاسيما ما يتعلق برموز الأمة، التي قد تكون شخصيات علمية، أو دعوية، أو شخصيات عامة لها حضورها، وتأثيرها في الناس؛ لأن في إسقاط هذه الرموز فتنة للناس، وفقداناً للثقة في قادة الأمة، وأعلامها، فكان من المصلحة الإبقاء على مكانة هؤلاء، وإن أخطأوا، وعدم زعزعة ثقة الناس فيهم.

* * *

الخاتمة:

فأحمد الله جل وعلا، وأشكره، وأثني عليه، فهو أهل الثناء والحمد، على إتمام هذا البحث، وقد أوضحت فيه مفهوم العفو، ومشروعيته، وثمراته، وأسبابه، وموانعه، ومقاصده الدعوية.

ويحسن في هذا المقام تسجيل ما توصلت إليه من النتائج والتوصيات، فأقول وبالله التوفيق.

النتائج:

- ١- إن العفو منحة ربانية، وخصلة حميدة، تفضل الله تعالى بها على عباده، وترتبت الشريعة عليه الأجر والمثوبة من الله.
- ٢- إن العفو ظاهر في سيرة المصطفى ﷺ، فهو سيد الدعاة إلى الله، وإمام أهل الصفح والتسامح، والإحسان.
- ٣- إن الدعاة في وقتنا الحاضر أحوج ما يكونون إلى العفو، والصفح عمن أساء إليهم؛ فهو أبلغ رسالة دعوية يمكن توجيهها إلى المدعويين؛ فضلاً عن تأسي الناس بهم؛ باعتبارهم قدوات صالحة في المجتمع.
- ٤- إن أقوى النفوس وأقدرها في ميدان الدعوة، من تجاهد نفسها، وتبحث في الأسباب التي تعينها على العفو، والصفح.
- ٥- إن إمام الدعاة بموانع العفو، يجنبهم الوقوع في المحذور الشرعي، كبلوغ الأمر السلطات في الحدود، واشتغال الجاني بالفساد.
- ٦- إن إدراك مقاصد العفو الدعوية، يساهم في إيصال رسالة الدعاة إلى المدعويين؛ فيكسبوا قلوبهم بأيسر الطرق، بمختلف أصنافهم، وأحوالهم.
- ٧- إن العفو والسماحة مع الكفار، سواء في السلم أو الحرب من المقاصد الدعوية التي تساهم في تقديم صورة مشرقة عن الإسلام، ودخولهم في هذا الدين.
- ٨- إن تأليف قلوب المؤمنين واستصلاحها، ومقابلة الإساءة بالعفو، والإحسان مقصد دعوي، وعامل مهم في إقامة مجتمع مسلم مترابط على الخير، والمحبة، والإخاء.
- ٩- إن إنصاف الخدم والضعفاء، والعفو والتسامح معهم، من المقاصد الدعوية التي

تحدث أثراً عظيماً في نفوسهم، وتجعلهم يعيشون في مجتمع يحنو عليهم، ويرفع الظلم عنهم، ويكفل لهم حقوقهم.

١٠- إن إقالة عثرات ذوي الهيئات، وقبول معاذيرهم؛ وبخاصة أهل الفضل منهم، من المقاصد الدعوية التي تدفع هؤلاء، لمواصلة البذل، والعطاء في أبواب الخير.

التوصيات:

- ١- توجيه المتخصصين والباحثين في علم الدعوة؛ بدراسة العفو من جميع جوانبه، فهو لا يزال بحاجة إلى إجراء أبحاث علمية، وفق منظور دعوي؛ بحيث يسهل على الدعاة، الرجوع إليها، والإفادة منها في دعوتهم.
 - ٢- عقد ندوات، ودورات علمية تأهيلية للعاملين في حقل الدعوة إلى الله، تتناول العفو، وضوابطه، وآثاره، وبث روح العفو، والتسامح، والرحمة في المجتمع، والخروج بأنجح الطرق الحكيمة في التعامل مع المسيئين.
 - ٣- على الدعاة إلى الله الممارسين للدعوة، تطبيق جانب العفو، والإحسان في تعاملهم مع من أساء إليهم، ولا يمنح الفضل إلا لأولو الفضل، وهذا له أثره في نجاح دعوتهم؛ فضلاً عن اقتداء الناس بهم، وإشاعة العفو بينهم.
 - ٤- إجراء دراسات ميدانية عن العفو، وأثره في الدعوة إلى الله؛ لأن الدراسات الميدانية، تكشف لنا ما لا تستطيعه الدراسات النظرية، وكيفية التعامل مع هنات المدعويين، ومعرفة تأثير العفو فيهم، ودلائلهم على الخير.
 - ٥- تكثيف الجهود الدعوية للدعاة؛ من خلال التواصل، والتواصي، والمتابعة المستمرة مع أفراد المجتمع، في الإسراع إلى العفو والصفح، والقدرة على احتواء الزلات قبل تداعياتها، والستر على أصحابها، واحتساب الأجر فيهم.
- وبعد.. فهذا جهد المقل، والله أعلم وأحكم، فإن كنت قد أصبت فله وحده الحمد والمنة والفضل، وإن تكن الأخرى فالخير أردت، وأستغفر الله لذنبي، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

فهرس المصادر والمراجع

١. الاحتجاج بالقدر - شيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق: المحدث العلامة محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، ط ٤، ١٤٠٤هـ.
٢. أحكام القرآن - أبو بكر أحمد بن علي الرازي الجصاص، تحقيق: محمد الصادق قمحاوي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤٠٥هـ.
٣. إحياء علوم الدين - أبو حامد الغزالي، دار المعرفة، بيروت، بدون تاريخ.
٤. الأخلاق الإسلامية وأسسها - عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني، دار القلم، دمشق، ط ٣، ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م.
٥. الآداب الشرعية والمنح المرعية - محمد بن مفلح المقدسي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وعمر القيام، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ٢، ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م.
٦. أدب الدنيا والدين - أبو الحسن علي محمد بن حبيب الماوردي، تحقيق: محمد كريم راجح، دار إقرأ، بيروت، ط ٤، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.
٧. الأدب المفرد - محمد بن إسماعيل البخاري، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار البشائر الإسلامية، بيروت، ط ٣، ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م.
٨. الأسس العلمية لمنهج الدعوة الإسلامية دراسة تأصيلية على ضوء الواقع المعاصر - د. عبد الرحيم بن محمد المغنوي، دار الحضارة، الرياض، ط ١، ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م.
٩. الإشراف في منازل الأشراف - أبو بكر عبد الله ابن أبي الدنيا القرشي البغدادي، تحقيق: د. نجم عبد الرحمن خلف، مكتبة الرشد، الرياض، ط ١، ١٤١١هـ - ١٩٩٠م.
١٠. إصلاح المنطق - أبو يوسف يعقوب بن إسحق بن السكيت، تحقيق: أحمد شاكر وعبد السلام هارون، دار المعارف، القاهرة، ط ٤، بدون تاريخ.
١١. البحث العلمي حقيقته ومصادره - د. عبدالعزيز بن عبد الرحمن الربيعة، بدون دار طابعة، ط ١، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٤م.
١٢. بحر الفوائد المشهور بمعاني الأخبار - أبو بكر محمد بن أبي إسحاق إبراهيم بن يعقوب الكلاباذي، تحقيق: محمد حسن إسماعيل وأحمد فريد المزيدي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م، ج ١ ص ١٩٣.

١٣. بدائع السلك - ابن الأزرقي، تحقيق: د. علي سامي النشار، وزارة الإعلام، العراق، ط١، بدون تاريخ.
١٤. بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع - علاء الدين الكاساني، دار الكتاب العربي، بيروت، ط٢، ١٩٨٢م.
١٥. بدائع الفوائد - محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية، تحقيق: هشام عبد العزيز عطا وعادل عبد الحميد العدوي، مكتبة نزار مصطفى الباز، مكة المكرمة، ط١، ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م.
١٦. البداية والنهاية - أبو الفداء إسماعيل بن كثير الدمشقي، مكتبة المعارف، بيروت، بدون تاريخ.
١٧. بهجة قلوب الأبرار وقرّة عيون الأخيار في شرح جوامع الأخبار - عبد الرحمن بن ناصر السعدي، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد - المملكة العربية السعودية، ط٤، ١٤٢٣هـ.
١٨. تاج العروس من جواهر القاموس - محمد مرتضى الزبيدي، تحقيق: مجموعة من المحققين، دار الهداية، بيروت، بدون تاريخ.
١٩. تحفة الأحوزي بشرح جامع الترمذي - أبو العلا محمد عبد الرحمن المباركفوري، دار الكتب العلمية، بيروت، بدون تاريخ.
٢٠. التسهيل لعلوم التنزيل - محمد بن أحمد بن محمد الغرناطي الكلبي، دار الكتاب العربي، ط٤، لبنان، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.
٢١. تعال نستثمر العفو - نسبية عبدالعزيز المطوع، مطابع الوطن، الكويت، ١٩٩٩م - ١٤٢٠هـ.
٢٢. تفسير البغوي - الحسين البغوي، دار طبية، الرياض، ط٤، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م.
٢٣. تفسير السمعاني - أبو المظفر السمعاني، دار الوطن، الرياض، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م.
٢٤. تفسير القرآن العظيم - أبو الفداء إسماعيل بن كثير، تحقيق: محمود حسن، دار الفكر، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م.
٢٥. التفسير الكبير - فخر الدين محمد الرازي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م.
٢٦. تهذيب الكمال في أسماء الرجال - أبو الحجاج يوسف بن الزكي عبد الرحمن المزني - تحقيق: د. بشار عواد معروف، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م.
٢٧. تهذيب اللغة - محمد بن أحمد الأزهرى، تحقيق: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ٢٠٠١م.
٢٨. تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان - عبد الرحمن بن ناصر السعدي، تحقيق: عبد الرحمن اللويحي، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م.
٢٩. جامع المسائل - تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي،

- تحقيق: محمد عزيز شمس، إشراف بكر بن عبد الله أبو زيد، دار عالم الفوائد، ط ١، ٢٢هـ.
٣٠. جامع الأصول في أحاديث الرسول - المبارك بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني المعروف بابن الأثير الجزري، وقال عبد القادر الأرناؤوط، مكتبة دار البيان، دمشق، ط ١، ١٣٨٩هـ.
٣١. الجامع الصحيح سنن الترمذي - محمد بن عيسى أبو عيسى الترمذي، تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرين، دار إحياء التراث العربي، بيروت، بدون تاريخ.
٣٢. الجامع لأحكام القرآن - محمد بن أحمد القرطبي، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية، القاهرة، ط ٢، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م.
٣٣. الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي - محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية، دار الكتب العلمية، بيروت، بدون تاريخ.
٣٤. حقائق التفسير - أبو عبد الرحمن محمد بن الحسين الأزدي السلمي، تحقيق: سيد عمران، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م.
٣٥. حلية الأولياء وطبقات الأصفياء - أبو نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني، دار الكتاب العربي، بيروت، ط ٤، ١٤٠٥هـ، ج ٨ ص ١١٢.
٣٦. دروس الشيخ أسامة سليمان، الدرس السابع، وهي دروس مفرغة على الشبكة العنكبوتية.
٣٧. دعوة الإسلام - السيد سابق، دار الكتاب العربي، بيروت، بدون تاريخ.
٣٨. الدعوة إلى الله وأخلاق الدعاة - عبدالعزيز بن عبد الله بن باز، مؤسسة الشيخ عبدالعزيز بن باز الخيرية، بدون تاريخ.
٣٩. الدعوة إلى الله وجوبها وفضلها وأخلاق الدعاة - عبد الله بن محمد بن حميد، دار طويق، الرياض، بدون تاريخ.
٤٠. ربيع الأبرار ونصوص الأخبار - محمود الزمخشري، تحقيق: د. سليم النعمي، بدون تاريخ.
٤١. الروح في الكلام على أرواح الأموات والأحياء بالدلائل من الكتاب والسنة - أبو عبد الله شمس الدين محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٣٩٥هـ - ١٩٧٥م.
٤٢. زاد المعاد في هدي خير العباد - محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية، تحقيق: شعيب الأرناؤوط وعبد القادر الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، مكتبة المنار الإسلامية، بيروت، ط ١٤، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٦م.
٤٣. سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد - محمد بن يوسف الصالحي الشامي، تحقيق: وتعليق

- عادل عبدالموجود وعلي معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٤١٤هـ-١٩٩٣م.
٤٤. سلسلة الأحاديث الصحيحة -محمد ناصر الدين الألباني، دار المعارف، الرياض، بدون تاريخ.
٤٥. سنن ابن ماجه -أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار الفكر، بيروت، بدون تاريخ.
٤٦. سنن أبي داود -أبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني الأزدي، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الفكر، بدون تاريخ.
٤٧. سنن البيهقي الكبرى -أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي، مجلس دائرة المعارف النظامية الكائنة في الهند ببلدة حيدر آباد، ط ١، ١٣٤٤هـ.
٤٨. سير أعلام النبلاء -أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط ومحمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ١، ١٤١٣م.
٤٩. شرح النووي على صحيح مسلم -أبوزكريا يحيى بن شرف بن مري النووي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط ٢، ١٣٩٢هـ.
٥٠. شرح ديوان الحماسة لأبي تمام -أبوزكريا الخطيب التبريزي، كتب حواشيه غريد الشيخ، ووضع فهارسه أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢١هـ-٢٠٠٠م.
٥١. شرح فتح القدير -كمال الدين محمد بن عبد الواحد السيواسي، دار الفكر، بيروت، ط ٢، بدون تاريخ.
٥٢. شعب الإيمان -أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي، تحقيق: محمد السعيد بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٤١٠هـ.
٥٣. صحيح أبي داود -محمد ناصر الدين الألباني، مؤسسة غراس للنشر والتوزيع، الكويت، ط ١، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م.
٥٤. صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان -أبو حاتم محمد بن حبان التميمي البُستي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ٢، ١٤١٤هـ-١٩٩٣م.
٥٥. صحيح ابن ماجه -محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف، الرياض، بدون تاريخ.
٥٦. صحيح الأدب المفرد للإمام البخاري -تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، دار الصديق، ط ١، ١٤٢١هـ.
٥٧. صحيح البخاري (الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه) -أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، تحقيق: محمد زهير الناصر، دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي)، ط ١، ١٤٢٢هـ.

٥٨. صحيح الترغيب والترهيب - محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف، الرياض، ط ٥، بدون تاريخ.
٥٩. صحيح الجامع الصغير وزياداته - المكتب الإسلامي، بيروت، بدون تاريخ.
٦٠. صحيح مسلم - مسلم بن الحجاج النيسابوري، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، بدون تاريخ.
٦١. صفات الداعية - أ.د. حمد بن ناصر العمار، دار إشبيلية، الرياض، ط ١، ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م.
٦٢. ضوابط المعرفة وأصول الاستدلال والمناظرة - د. عبد الرحمن حبنكة الميداني، دار القلم، دمشق، ط ٤، ١٤١٤هـ.
٦٣. العفو عن العقوبة في الفقه الإسلامي - أ.د. زيد بن عبد الكريم الزيد، دار العاصمة، الرياض، ط ١، ١٤١٠هـ.
٦٤. العفو عن العقوبة في الفقه الإسلامي والقانون الوضعي - د. سامح السيد جاد، دار الهدى، مصر، ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م.
٦٥. العقد الفريد - أحمد بن محمد بن عبدربه الأندلسي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط ٣، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.
٦٦. عمدة القاري شرح صحيح البخاري - بدر الدين محمود العيني، تحقيق: عبد الله محمود، دار الكتب العلمية، ط ١، ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م.
٦٧. عون المعبود شرح سنن أبي داود - محمد شمس الحق العظيم آبادي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ٢، ١٩٩٥م.
٦٨. فتح الباري شرح صحيح البخاري - أبو الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، تحقيق: محب الدين الخطيب، دار المعرفة، بيروت، بدون تاريخ.
٦٩. الفجر الساطع على الصحيح الجامع، شرح صحيح البخاري من باب المبعث إلى نهاية كتاب اللباس - محمد الفضيل الشبيهي الإدريسي الزرهوني، تحقيق: د. فؤاد ريشة، بدون تاريخ.
٧٠. في دلائل النبوة - أبو نعيم إسماعيل بن محمد بن الفضل الأصبهاني، تحقيق: محمد محمد الحداد، دار طيبة، الرياض، ط ١، ١٤٠٩هـ، ج ١ ص ٢٣٣.
٧١. فيض القدير شرح الجامع الصغير - عبد الرؤوف المناوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٤١٥هـ.
٧٢. قاعدة في الصبر - شيخ الإسلام أحمد بن تيمية، دار القلم، بدون تاريخ.
٧٣. القاموس المحيط - محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، مؤسسة الرسالة، بيروت، بدون تاريخ.

٧٤. الكامل في اللغة والأدب - أبو العباس محمد بن يزيد المبرد، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي، القاهرة، ط ٣، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م.
٧٥. كتاب العفو والاعتذار - أبو الحسن محمد بن عمران العبدى، حققه وقدم له د. عبد القدوس أبو صالح، دار البشر، عمان، ط ٢، ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م.
٧٦. الكليات - أيوب الكفوي، تحقيق: عدنان درويش ومحمد المصري، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م.
٧٧. لسان العرب - ابن منظور، تحقيق: عبد الله علي الكبير وآخرين، دار المعارف، القاهرة، بدون تاريخ.
٧٨. لماذا تغفو - أبو حمزة عبد اللطيف الغامدي، مدار الوطن، الرياض، ط ١، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م.
٧٩. مبادئ ونماذج في القدوة - صالح لن عبد الله بن حميد، دار إشبيلية، الرياض، ط ١، ١٤١٣هـ.
٨٠. مجلة الأزهر (الرفق بالجاني من خلق النبي ﷺ)، الجزء العاشر، السنة (٧٤)، شوال، ١٤٢٢هـ.
٨١. مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية - جمع وترتيب عبد الرحمن بن قاسم، تحقيق: أنور الباز وعامر الجزار، دار الوفاء، ط ٣، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م.
٨٢. مجموع فتاوى ورسائل فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين - جمع وترتيب فهد السليمان، دار الوطن، ١٤١٣هـ.
٨٣. المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز - أبو محمد عبد الحق بن عطية الأندلسي، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية، لبنان، ط ١، ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م.
٨٤. مختار الصحاح - محمد بن أبي بكر الرازي، تحقيق: محمود خاطر، مكتبة لبنان، بيروت، ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م.
٨٥. مختصر منهاج القاصدين - أحمد بن قدامة المقدسي، اعتنى به وعلق عليه حسن عبد المنعم شلبي، وصهيب حسين الزهران، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ١، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م.
٨٦. مداراة الناس - أبو بكر عبد الله بن محمد ابن أبي الدنيا القرشي البغدادي، تحقيق: محمد خير رمضان يوسف، دار ابن حزم، بيروت، ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م.
٨٧. مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين - محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية، تحقيق: محمد حامد الفقي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط ٢، ١٣٩٣هـ - ١٩٧٣م.
٨٨. المستدرک علی الصحیحین - أبو عبد الله محمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٤١١هـ - ١٩٩٠م.

٨٩. المستطرف في كل فن مستظرف - أبو الفتح شهاب الدين محمد بن أحمد الأبشيهي، تحقيق: مفيد محمد قميجة، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ٢، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.
٩٠. مسند الإمام أحمد بن حنبل - تحقيق: شعيب الأرنؤوط وآخرين، إشراف د. عبدالله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، ط ١، ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م.
٩١. المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي - أحمد الفيومي، المكتبة العلمية، بيروت، بدون تاريخ.
٩٢. المعجم الكبير - أبو القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب الطبراني، تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، مكتبة العلوم والحكم، الموصل، ط ٢، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٣م.
٩٣. المعجم الوسيط - إبراهيم مصطفى وآخرون، تحقيق: مجمع اللغة العربية بمصر، دار الدعوة، إستانبول، بدون تاريخ.
٩٤. معجم مقاييس اللغة - أحمد بن فارس بن زكريا، تحقيق: عبد السلام هارون، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، ١٣٦٨هـ.
٩٥. مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة - أبو عبدالله محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية، دار الكتب العلمية، بيروت، بدون تاريخ.
٩٦. مكارم الأخلاق - أبو بكر عبدالله ابن أبي الدنيا القرشي البغدادي، تحقيق: مجدي السيد إبراهيم، مكتبة القرآن، القاهرة، ١٤١١هـ - ١٩٩٠م.
٩٧. المنهج المسلوك في سياسة الملوك - عبدالرحمن بن عبدالله الشيزري، تحقيق: علي عبدالله الموسى، مكتبة المنار، الزرقاء، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.
٩٨. موطأ الإمام مالك - أبو عبدالله مالك بن أنس الأصبحي، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، مصر، بدون تاريخ.
٩٩. موقع الشيخ محمد بن صالح العثيمين على الشبكة العنكبوتية (المكتبة المقروءة) تفسير سورة البقرة.
١٠٠. النهاية في غريب الحديث والأثر - أبو السعادات المبارك بن محمد الجزري، المكتبة العلمية، بيروت، تحقيق: طاهر الزاوي ومحمود الطناحي، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.
١٠١. وليعضوا وليصفحوا - خالد بن إبراهيم الجعيثي، دار ابن الجوزي، الدمام، بدون تاريخ.

* * *